



اصل الاعتقادات والطقوس

تأليف القسّ بنيامين شنيدر

امنعوا كل شيء تمسكوا بالحسن انس ٢١:٥
لا يصغون الى خرافات يهودية ووصايا أناس مرتدين عن
الحق تي ١٤:١

HISTORY OF CEREMONIES.

بالرخصة الرسمية من مجلس معارف ولاية سورية الجبلية

طُبِعَ ثَالِثَةً فِي يَرُوث سَنَةِ ١٨٨٩

Schneider, Benjamin,

Reihânet en-nufûs fi
asl el-i'tigâdât wa-t-
tugûs [Om dogmer och ceremonier].

3:e uppl. Beirut 1889. 80,,.



الحمد لله الذي له حسن العوائد . ومنه أصول الفوائد . اما
 بعدُ فان كثيرين من اهل هذه البلاد يسألون عن ابتداء
 الطقوس والعوائد والتعاليم النصرانية الزائدة عما ورد في كتاب
 الله وعن زمان دخولها في الكنائس وما اوجب قبولها عند
 الذين يقبلونها . ولما رأينا ان ذلك بحث مفيد لمن يريد ان
 يعرف اصل ديانة المسيح وحقائقها وطقوسها القديمة الجوهرية
 استحسنّا ان نشهر كتاباً يتضمن على سبيل الاختصار خلاصة ما
 يودّي اليه هذا البحث . وهو الكتاب الذي انشأه القس بنيامين
 شنيذر المقيم حينئذ في عين تاب من اعمال حلب وطبعة باللغة
 الارمنية لافادة الذين يرغبون الوقوف على هذه الحقائق من ابناء
 الطائفة المذكورة . ونرجو من الله عز وجل ان يجعله مفيداً
 لجميع الذين يقفون عليه من اهل اللغة العربية التي باشرنا طبعة
 بها الآن عن نية مخلصه لله مجردة عما للناس . والله سبحانه ولي
 الاجابة . وعليه التوكل واليه الانابة

مكتبة المصنفين
 مكتبة المصنفين
 مكتبة المصنفين

فهرس

صفحة

مقدمة

٥

٨

الباب الاول. في اصل الاعباد

٤٨

الباب الثاني. في اصل الصوم وتاريخ دخوله

٥٥

الباب الثالث. في اصل عبادة القديسين والملائكة

٦٠

الباب الرابع. في اصل عبادة الابقونات

٦٩

الباب الخامس. في اصل رسم اشارة الصليب وعبادته

الباب السادس. في اصل الاعتراف للقدوس وفروض

٧٣

قانون الاعتراف

الباب السابع وهو فصلان

٨٣

الفصل الاول. في اصل الاستمالة

١٠٢

الفصل الثاني. في رفع الثريان وعبادته

١٠٦

الباب الثامن. في اصل المطهر

١١١

الباب التاسع. في القلاسات لاجل الموتى

١١٤

الباب العاشر. في الصلاة لاجل الموتى

١١٨

الباب الحادي عشر. في زيارة الاماكن المقدسة

١٢٢	الباب الثاني عشر. في توقيف الذخائر وعبادتها
	الباب الثالث عشر. في ابتداء الشموع والبخور واستعمال
١٢٨	المصابيح والاضواء في النهار
١٢٤	الباب الرابع عشر. في الماء المقدس
١٢٦	الباب الخامس عشر. في الحرومات والاناثيات
١٤٥	الباب السادس عشر. في عدم زواج الكلبس
١٥٤	الباب السابع عشر. في الرهبة
	الباب الثامن عشر. في المسح بالزيت واستعمال المبرون
	في المعمودية وتكريس الاساقفة والاكلبس
١٦٠	ومسح المرضى بالزيت
١٦٥	الباب التاسع عشر. في ملابس الكلبس
١٦٧	الباب العشرون. في الاسرار السبعة
١٧١	الخاتمة. في نتائج ما تقدم

مكتبة المهتدين للإسلام

مَقْدَمَةٌ

ان اكثر التعاليم والظنوس المذكورة في هذا الكتاب دخلت في الكنائس بالتدرج . لانها كانت في ابتداءها بسيطة ثم أُضيف اليها زيادات وانتشرت اولاً في بعض الاماكن وقبلها بعض الاشخاص والكنائس دون غيرها . ولا ريب انه يعسر علينا تعيين الازمنة التي ابتدأت فيها بالتحقيق كما هو المعهود في الادور الدينية التي لا رسم لها في الكتاب المقدس . ولذلك نكتفي بتعيين الزمان الذي شاعت فيه بين الجميع وهو الزمان الحقيقي الذي فيه قبلها عموم الكنيسة

وقد اجتهدنا ان نتكلم عن القضايا التي بحثنا فيها من دون محاباة . وشرنا في الحواشي الى ما نفلنا الشهادات عنه من كتب آباء الكنيسة وغيرهم من بوثق به لكي يتحقق القارئ اننا لم نحكم بشيء من دون دليل كاف . وقد كان يمكننا ان نورد شهادات اخرى كثيرة ولكن رأينا ما اوردناه كافياً لكل ذي بصيرة سليمة فاقصرنا عليه خوف الاطالة . ومن ارتاب في صحة العبارات التي استشهدنا بها فليراجع كل واحدة في محلها

الباب الاول

في اصل الاعياد

انا قبل ان نشرع في ذكر الامور الخصوصية من هذا الموضوع نذكر بعض امور عمومية

الاول ان الاعياد لم يأمر المسيح بحفظها وليس لها ذكر بين اوامر الرسل ولو كان قد حُظ منبها شيء في قرون الكنيسة الاولى . وما يستحق الاعتبار ان المسيح لم يعين يوماً لاجل تذكّار شيء ما من حوادث حياته كميلاده وموته وصعوده الى غير ذلك ما عدا السبت الذي نُقِلَ ربحا بامر من اليوم السابع الى اليوم الاول من الاسبوع تذكّاراً لقيامته . ومع ان هذه الحوادث هي من اعظم الامور التي ظهرت في العالم والبعض منها قد تأسست عليه الديانة المسيحية لم نقرأ في مكان انه امر بتذكّارها في يوم مخصوص اذ لم يعين يوماً اصوم ولا يوماً لعب . وهكذا يقال ايضاً عن الرسل وهو من القضايا المسلمة التي لا يشك فيها مهابا كانت الغاية به ومهابا استغربة بعض الناس

نعم ان المسيح ورسله كانوا يغتنمون الفرصة في اعياد اليهود لكي يعلموا الشعب . ولجل هذه الغاية كانوا يدخلون المجمع

والهيكل في هذه الاعياد. ولكن لا ينتج من ذلك ان حفظ هذه الاعياد واجب على اتباعهم. بل بعكس ذلك اذ لاحظ بولس الرسول ان البعض كانوا يريدون ان يكلّفوا المسيحيين حفظ سنن اليهود كالاعياد وغيرها كأنها واجبة عليهم كان ينافم ذلك بكل عزمٍ وغيره^(١). ونجد الجزء الاعظم من بعض رسائله مُشغلاً بهذه المفاومة لانه لم يرتض ان المسيحيين يكونون تحت نير مثل هذه العبودية بل يريد ان يتمتعوا بالحرية التي اعطاهم اباها الانجيل

وبناء على ذلك مها سمعنا من مديح حفظ الاعياد لاجل نموّ التقوى لانسى انه غير مأمور بها في الانجيل واو سلمنا انه يليق بالمسيحي وبنيده ان يحفظ بتقوى حثيثة يوماً لتذكّار ميلاد المسيح او موته او آلامه او حلول الروح القدس الى غير ذلك. لكننا لا نبحث الآن عن اثبات اللياقة لهذا الامر او نفيها عنه بل انما مقصودنا هو ان تثبت هذه القضية البسيطة وهي انه في العهد الجديد لا يوجد وصيةٌ بحفظ الاعياد

الثاني ان جميع الاعياد المحفوظة بعد ايام الرسل في الكنائس الاولى ما عدا الاحد كانت اختيارية بالكلمة ولم يُطلب حفظها قط كأنها واجبة وجوب الوصية. فان سقراط الذي كتب تاريخاً للكنيسة بين سنة ٤٤٠ وسنة ٤٥٠ للمسيح وثبتت

(١) راجع كور ١٦: ٢١ وغل ٤: ٩ الى ١١ ورو ١٤: ٥

اقواله من نيسيفورس^(١) يقول لا بولس ولا اصحاب الاناجيل
وضعوا نير عبودية على الذين قبلوا تعليمهم بل تركوا حفظ
الفصح واعباد اخرى الى اختيار الجميع. وكذلك لا الرب يسوع
ولا رسلة سنوا شريعة بخصوص هذه العوائد توجب حفظها تحت
التهديد والفصاص كما اوجبت شرائع موسى على اليهود^(٢) ومثل
ذلك وردت اقوال غيره من الآباء كما يتضح من مراجعة
نصانيفهم مثل اكليمنضس الاسكندري^(٣) واوريجانوس^(٤) وفم
الذهب^(٥) وابرونيموس^(٦) واوغستينوس^(٧) وآخرين غيرهم. ولم
يؤمر بحفظ ايام مخصوصة اعيانا حتى القرن الرابع اعني بين
سنة الثلاث مئة والاربع مئة بعد المسيح. وحيث كن اول من
امر بذلك بعض مجامع انليمية مثل مجمع سرديقا سنة ٢٤٤

- (١) تاريخ الكنيسة كتاب ٥ فصل ٢٢ وجه ٢٨٢
(٢) تاريخ الكنيسة كتاب ١٢ فصل ٢٢ (٣) استرومانا
كتاب ٨ راس ٧ مجلد ٢ وجه ٤٢٧ (٤) ضد كلماوس
كتاب ٨ راس ٢١ الى ٢٢ وجه ٤٢٢ (٥) موعظة على
العنصرة ١ مجلد ٢ وجه ٤٥٨ (٦) تفسير غلاطية ص ٤
مجلد ٤ وجه ٢٧٠ (٧) رسالة ١١٨ الى يانواربوس ضد
اديماتينس راس ١٦

ومجمع اللاذقية سنة ٢٦١ ومجمع اليبدريس سنة ٢٠٥^(١)
 الثالث ان عدد هذه الاعياد كان في الاول قليلاً جداً .
 فانه الى ايام اوريجانوس الذي توفي سنة ١٥٤ لم يكن اعيادٌ عمومية
 الا جمعة الآلام والافصح والعنصرة والاحد الذي كان دائماً يُعتبر
 عيداً عمومياً^(٢) وفي القرن الرابع نجد ايضاً عيد الميلاد . ثم بعد
 ذلك زاد عدد الاعياد ولم تنزل تكثراً بالتدريج حتى صارت
 كثيرة جداً وصار كثيرون من القرن السادس الى الثامن
 يتذمرون من كثرتها

واما اسباب هذه الزيادة فكانت كثيرة . يذكر منها احد
 مشاهير المعلمين^(٣) هذه الاسباب الآتية مع غيرها . وهب تذكّر
 الشهداء سنوياً . وسنن مرسومة من قسطنطين الكبير . ورغبة
 المسيحيين في مساواة الارائقة الذين كانوا يرسمون اعياداً مختلفة
 عما كان عند المستقيمي الراي . ورسم عيد الميلاد الذي صدرت
 منه اعياد كثيرة . وطلب اجتذاب المسيحيين عن الاشتراك في
 اعياد الوثنيين وعوائد اليهود التي كانوا مائلين اليها . ويتضح
 انهم كانوا مائلين الى ذلك ميلاً شديداً من الوقوف على كتابات

(١) مجمع اليبدريس قانون ٢١ ومجمع سرديس قانون ١١
 ومجمع اللاذقية قانون ٢٩ (٢) اوريجانوس ضد كلوسوس
 كتاب ٨ وجه ٢٩٢ (٣) سيجل تاريخ كاثوليكي مجلد ٢ وجه ٨٨

الآباء^(١) واحكام الجامع التي كانت في تلك الابام كجميع اللاذقية
ومجمع اليريريس^(٢) فان الشعب في الازمنة المتأخرة لم يكتنوا
ببساطة عبادة المسيحيين الاولين التي يصفها المحامون الاولون
عن الديانة المسيحية كيوستينوس الشهيد^(٣) وارنوبيوس^(٤) بانها لا
هيكل لها ولا مذبح ولا ذبيحة ولا احتفال الاعياد وهلم جرا .
بل كانوا يؤمنون انهم بواسطة اعياد مسيحية جديدة ونحويل
بعض اعياد يهودية ووثنية الى اعياد مسيحية يجعلون ديانة
المسيح أكثر مجداً ورونقاً مما برأه القلب الجسدي في الحق الانجيلي
اذا بني على بساطته . ومن ثم حدث في القرن السادس ان
كثيراً من طقوس اليهود والوثنيين التي كانت قد رُفِضت قديماً
دخلت حينئذ في الخدمة المسيحية . حتى ان غريغوريوس الكبير
علم صريحاً ان اعياد الوثنيين ينبغي ان تتحول الى اعياد مسيحية .
وانه يجب على المسيحيين ان يفتدوا بهم في امور كثيرة^(٥) . وبيان
من كلام ثيودور بنوس الذي عاش في القرن الخامس ان ذلك

- (١) مثل مواظف الذهب ١ و ٦ و ٥٢ وموعظة على تيطس
وغير ذلك (٢) مجمع اللاذقية (٢٦١) قانون ٢٩ و ٢٧ و ٢٩
ومجمع اليريريس قانون ٤٩ و ٥٠ (٣) احتجاجه الاول فصل
٦ و ١٦ و ١٧ و ٢٢ (٤) ضد الوثنيين كتاب ١ و ٥ و ٢
(٥) كتاب ٩ رسالة ٧١

قد وقع حتى في عصره في عيد الشهداء^(١) وسوف يقف القارئ على زيادة تقرير لهذا الامر

اولاً عيد القيامة والعنصرة

قد جمعنا هذين العيدين لان الظاهر ان ابتداءها كان في زمان واحد. فالاول منها تذكاًر لموت المسيح وقيامته والثاني لحلول الروح القدس على الرسل. وبيان انها قد حُفظا قديماً جداً حتى انه يوجد برهان على انها كانت في القرن الاول وربما في ايام الرسل ايضاً مع ان ليس لنا دليل على ان الرسل رسموها. نعم ان الرسل ربما ارتضوا بها حتى دخلا ابتداء بهذا المقدار وانهم وان لم يأمروا بها لم يكونوا غير راضين باستعمالها لكي يرسخ وطبداً بواسطتها في عقول المسيحيين امران من اعظم التعاليم الانجيلية الاساسية. وهما الكفارة بواسطة آلام المسيح وموته وفيض الروح القدس على الكنيسة

واما قدمية ابتداء هذين العيدين فيعمل مؤرخو الكنيسة عنها بان الفصح والعنصرة العيدين اليهوديين كانا سنوياً في نفس الايام التي كان فيها اخيراً عيد المسيحيين. ومعلوم ان اليهود المخازين الى الديانة المسيحية في فلسطين وربما في غيرها ايضاً كانوا لم يزالوا ينظرون هذين العيدين اليهوديين مدة دوام

(١) ثيودوريتوس عن الشهداء ١ و ٨

المبكل . وبما ان كثيرين من المسيحيين الاولين كانوا في الاصل من جنس اليهود لابد انهم كانوا يرغبون حفظ هذين العيدين على نوع من الانواع ما لم يُنهوا عن ذلك . فكان امراً طبعياً ان يتحول حفظها عاجلاً الى تذكّار موت المسيح وقيامته وفيض الروح القدس العجيب من غير التفاتٍ خصوصي الى مقصدها الاصيلي اية انها يتحولان الى عيدين مسيحيين . وبما ان هذين العيدين كانا محفوظين عند اليهود يصح ان يقال انها من اصلي يهودي . وبما ان المسيح هو المرموز اليه بواسطة الحروف الذي كان يُذبح ويوكل في فصح اليهود كان موافقاً للطبيعة ان موت المسيح الذي كما يقول الرسول لان فصحنا ايضاً المسيح قد ذُبح لاجلنا^(١) يُحتفظ له عيد عوض الفصح . وبما ان تأسيس الكنيسة المسيحية يُحسب ابتداءً الحقيقي من حين حل الروح القدس وآمن ثلاثة آلاف في يوم واحد^(٢) يستحق هذا الحادث العظيم ان يُذكر عوض المقصد الاصيلي الذي لاجله رُتب عيد الفصح اليهودي

ثم ان المسيحيين الاولين كانوا يعيدون عيد الفصح باحتفال عظيم بسبب اعتبارهم الكلي لانيامة المسيح . فقد كانت القيامة حسب رايهم وحسب تعليم بولس الرسول ايضاً^(٣) بمنزلة حجر زاوية في الديانة المسيحية المندسة . لان ايمانهم ورجاءهم كانا

(١) اكو ٧: ٢ (٢) اع ٤: ١٢ (٣) اكو ١٥

مؤسَّسِينَ على صحة هذا الحادث . وبه ظهر المسيح متمراً على الموت والجحيم والشیطان وجميع جنود الظلمة . وبه أيضاً تمَّ عمل الفداء العظيم . ولجل ذلك اعتبروا هذا اليوم بهذا المقدار حتى ان غريغوريوس التريزيني^(١) يسميه ملك الايام وعيد الاعياد . وفي الذهب بدعوه اكليل الاعياد واعظم جميع الاعياد ويوم الرب العظيم واعظم الايام

وبسبب الفوائد العظيمة التي حصلت للجنس البشري بموت المسيح كانوا في هذا العيد يظهرون كل نوع من الفرح ويمتنعون فيه عن الصوم وعن جميع علامات الحزن . وكانوا يصرفون هذا اليوم بالمسرَّات الروحية . وعلى هذا المنوال كانوا يحفظون عيد العنصرة

ثم ان عيد الفصح كان في اول الامر يتقدِّمه صوم اختياري كانت تختلف مدته باختلاف الاماكن الا انه كان يفتي في اكثر الاماكن مدة اربعين ساعة كما يخبرنا ترونيانوس^(٢) وابريناوس^(٣) والظاهر انهم اخبروا هذا العدد من الساعات لانه يطابق المدة التي اقام فيها مخلصنا في النبر . وكان يوافق الجمعة والسبت قبل العيد . ولكن مع ان ذلك الصوم كان اختياريّاً في الابتداء صار مع نمادي الزمان محمّوماً ضرورياً على جميع المؤمنين . ثم اخذ

(١) مخاطبة ١٩ في جناز الاب (٢) عن الصوم راس ٢

(٣) برفعة اليه اوسايوس كتاب ٥ راس ٢٤

بطول شيئاً فشيئاً بالتدريج حتى انه في ايام ديونيسيوس الاسكندري^(١) نحو سنة ٢٥٠ وصل الى اسبوع او اكثر. وسقراط^(٢) وسوزومينوس^(٣) ائلمان كتباً تاريخياً كائسياً في القرن الخامس يتكلمان عن تطويل هذا الصوم بالتدريج وعن زيادة الاعشاء بحظفه في عصرها. وغريغوريوس الكبير الذي كتب في القرن السادس يذكر انه كان في ايام ستة وثلاثين يوماً^(٤). واخيراً اوصله غريغوريوس هذا او غريغوريوس الثاني في القرن الثامن الى اربعين يوماً لان المؤرخين لا يتفقون على ايها اوصله الى هذا العدد

ثم ان بعض العلماء قد ذهبوا الى ان هذا الصوم الاربعيني ترتب من الرسل لان باسيليوس الكبير وامبروسيوس ولاون الكبير لنبوه سنة الهية. ولكن يجاب على ذلك بالكفاية ان هؤلاء الاشخاص في كلامهم الشعري وصفوا مراراً ما كانوا يحسبونه مفيداً بكونه الهياً او رسولياً. وفضلاً عن ذلك لو كان ترتيبه من الرسل لكان يجب حفظه باتفاق من الجميع من الابتداء لا كما رأينا انه يوجد اختلاف في عدد ايامه واسايمه بحسب اختلاف

(١) بنكهام تاريخ كنائسي قديم كتاب ٢١ راس ١ فصل ٨

(٢) تاريخ راس ٥ و ٢٢ (٣) تاريخ راس ٧ و ١٩

(٤) موعظة ١٦ على الانجيل مجلد ٢ وجه ٤٢

الاعصار والاماكن . واما استعمال لفظة رسولي او الهي في
 تصانيف الآباء بالمعنى الذي ذكرناه فذلك يتضح ما صرح به
 ابرونيوس بقوله ان كل بلاد يمكنها ان تنسك برأيها (من جهة
 هذا الصوم) وان وصايا القدماء قد نُسي شرائع رسولية^(١) .
 وكسيانوس الذي كان تابعا لثم الذهب وكتب في ابتداء القرن
 الخامس بصرح فائلا انه في كل الزمان الذي بقي فيه كمال
 الكنيسة الاولى غير مثلم لم يكن مثل هذا الصوم بالكلية ولكن
 لما ابتداء الناس يجحدون عن حرارة العبادة الرسولية واسلموا
 انفسهم الى محبة العالم اخذ التسوس جميعا برؤوسهم عن المهوم
 العالمية بواسطة صوم قانوني وتكريس عشر زمانهم لله (يريد بهما
 العشر صوم الفصح)^(٢) وفي الذهب الذي كان في القرن الرابع
 يقول ايضا ان آباءهم وضعوا ايام الصوم هذه^(٣) . فمن الواضح ان
 هذا الصوم ولو كان بعض الآباء قد وصفوه احبائنا بكونه الهيا
 او رسوليا لم يكن مرادهم بذلك انه قد ترتب من الرسل او بأمر
 من الله

ثانياً جمعة الآلام

انه لاجل شدة اتصال هذا اليوم بالفصح قد حصل له

(١) رسالة ٢٨ الى لوسنيوس (٢) مقابلة ٢١ راس ٢٠

(٢) موعظة ٥٢ مجلد ٥ وجه ٧٠٩

اعبار خصوصي في اوائل الكنيسة . ولكن جميع الاحتفالات
 التجارية فيه كانت متصلة بعيد الفصح ومتضمنة فيه . ولم يظهر له
 حفظ مستقل الى القرن الثاني وما بعده . وفي ذلك الوقت
 ايضاً كان محفوظاً عند قوم دون آخرين . وذلك واضح من
 شهادة ترتوليانوس^(١) واوريجانوس^(٢) الذي تكلم عنه كأنه لم يوجد
 الا في بعض البلدان . واوغسطينوس يقول صريحاً انه لم يُحسب
 هذا اليوم مقدساً^(٣) . مع انه يظهر من الرسالة الموجود فيها هذا
 الكلام انه في عصره في القرن الرابع كان هذا اليوم محفوظاً في
 بعض اماكن من افريقية . وقد اخبرنا اوسابيوس^(٤)
 وسوزومينوس^(٥) بان قسطنطين الكبير اصدر امراً صريحاً عنة
 سنين بعد مجمع نيقية العظيم سنة ٣٢٥ بحفظ هذا العيد . وبسبب
 هذا الامر الملكي زاد اعتبار الناس لليوم المذكور واتسع حفظه
 اكثر من الاول . فيتضح من ذلك ان اول اشتهار هذا اليوم
 كان من اواسط القرن الرابع فصاعداً
 وحيثما حفظ هذا اليوم كان يُحفظ بصوم مدق . وكانت

(١) ترتوليانوس الى اكسور كتاب ٢ (٢) ضد كلوس
 كتاب ١ فصل ٨ (٣) رسالته الى ينواريوس (٤) حياة
 قسطنطين الكبير كتاب ١ و ٤ راس ١٨ (٥) تاريخ كنائس
 كتاب ١ راس ٨

ترانيل المجد تُرك فيه ويرتلون ترانيل بسيطة محزنة فقط . ولم يكن احدٌ يجني ركنيه عند الصلاة . ولا كانت تُقدم القبلة الاخوية ولا تُقدس العناصر السرية . وكانت المناجح تُعري من زينتها

ثالثاً عيد الميلاد

ليس لهذا العيد اثرٌ في العهد الجديد ولا يمكن اثباته من عمل الرسل او المسيحيين الاولين . وقد اطبق جميع المؤرخين على انه لم ينشر في القرون الثلاثة الاولى . بل انه ترتب اولاً في القرن الرابع . والكيسة الاولى لم يكن لها عنايةٌ بكتابة تاريخ طفولية المسيح كما كانت تعني بكتابة تاريخ حياته الجهارية . بل كان التفات المسيحيين الاولين بالاكثـر الى موت المسيح وقيامته وصعوده وحلول الروح القدس وقد صرح اكليمينس الاسكندري^(١) قائلاً ان البحث عن زمان ميلاد المسيح باطلٌ لا فائدة فيه ووافقه على هذا القول العلماء القدماء وقال فم الذهب^(٢) في موعظته يوم عيد الميلاد سنة ٢٨٦ ان هذا العيد قد دخل منذ عشر سنين . وكان اول دخوله في انطاكية وسورية . واما نفس

(١) استرومانا اولى وجه ١٧٧ (٢) موعظة ٢١ عن

ميلاد المسيح

السنة التي صار فيها عمومياً فغير معلومة لان اصطلاح الكنائس لم يتفق لامن جهة زمان دخوله ولا من جهة اليوم الذي يكون العيد فيه . والظاهر ان عيد الميلاد وعيد المجوس حُظِّيا معاً في ابتداء القرن الرابع . ثم في اواسط هذا القرن عيّنت الكنائس الغربية اليوم الخامس والعشرين من كانون الاول لعيد الميلاد ويوماً آخر لعيد المجوس . وبما ان الكنائس الشرقية قبلت هذا الترتيب بالتدريج يمكننا ان نحكم بان الزمان الذي صار فيه هذا العيد عمومياً هو ما بين اواسط القرن الرابع وأواخره .

وقد وقع اختلافٌ عظيمٌ في اول الامر على انتخاب اليوم الذي يعرّف لهذا العيد . وسبب هذا الاختلاف انما هو كون اليوم او الشهر الذي وُلد فيه المسيح غير معروف بالتحقيق حتى انه على توالي الزمان كاد كل شهرٍ من اشهر السنة يتعين من العلماء لعيد الميلاد . ولكن الابام التي ترجح حفظها له هي اليوم السادس من كانون الثاني والخامس والعشرون من كانون الاول . فالبعض من الكنائس الشرقية اخناروا الاول والكنائس الغربية اخناروا الثاني . وبالتدريج تغلب اليوم الخامس والعشرون من كانون الاول كما هي العادة الجارية الآن . ولا يُظنُّ انه حصل اتفاقٌ عمومي في هذا التعيين الى القرن السادس ^(١)

(١) سيجل تاريخ كنائسي قديم مجلد ٢ وجه ١٩٢

وقد اختلف في الاسباب التي دعت الناس الى حفظ هذا العيد . فذهب جماعة الى انه ناتج من ميل الناس الى تكثير الاعياد الذي ظهر بقوة في اواخر القرن الرابع . وقال البعض انه ناتج من التداخل في سنن اليهود . والبعض يذهبون الى انه ناتج من العيد الوثني الذي يقال انه ساتورناليا . واكثر الجمهور على هذا الرأي الاخير . وربما كانت كل هذه الظروف من الاسباب التي نتج منها العيد ولكن الأرجح هو الرأي المقبول من الجمهور اي ان اصله من عيد الوثنيين المذكور^(١) الذي كان يحفظ في اليوم الرابع والعشرين والخامس والعشرين من شهر كانون الاول . وكان الوثنيون يحفظون هذين اليومين بالفرح العموي والملاهي والولائم . ولجل تعبير الوثنيين للديانة المسيحية بالكمد والخاو من الافراح اخار الاسقف يولبوس الاول في اواسط القرن الرابع ان يحول هذا العيد الوثني الذي كان يُعبد فيه للشمس الى العيد المسيحي الذي يُعبد فيه لمخلص العالم^(٢) وهذا الرأي (اي رأي تحويل عيد الشمس الى عيد الميلاد) يعضده

(١) سجل تاريخ كنائسي قديم مجلد ٢ وجه ١٨٩

(٢) كميفيشيوس في الالباء كتاب ٢ وجه ٢٩٧ وكتيلبريوس

في نظام الرسل كتاب ٥ فصل ١٢ ويابلونسكي كتاب ٢ فصل ٢

ايضاً كون كثير من الاعمال المصنوعة في عيد الميلاد تشبه ما كان يُصنع في عيد السانورناليا كالمدايا والولائم الفاخرة والاعاني والملاعب التشخيصية المتزجة بالعبادة وتزيين الكنائس على صفة مخصوصة والخلاعة والسكر وما اشبه ذلك. وهذه الامور قد نُقلت جوهرياً من العبادة الوثنية كما يتضح من الشهادات المفصلة ادناه^(١). وجرغوريوس الترينزي الذي كتب في اواخر القرن الرابع توجد عبارة في احدى عظامه يتضح منها ان النصارى تقلدوا قديماً السانورناليا الرومانية المذكورة. فصار العيد المسيحي يشبه العيد الوثني^(٢). واما صورة العبادة فقد تركناها اطولها والاستغناء عنها بغيرها

ثم ان عيد الفصح والعنصرة وجمعة الآلام التي كانت عند المسيحيين الاوابين في الثلاثة القرون الاولى والنصف الاول من القرن الرابع كانت تُحفظ باعتراف واحترام عظيم. وكان المقصود بها انتشار روح التقوى بواسطة مراجعة الحوادث والتعاليم العظيمة المدلول عليها بهذه الاعياد. ولا ريب انه قد

(١) هوسبيان كتاب ٢ وجه ١٧١ وبوليدوروس ورجيلوس كتاب ١ وه راس ٢ وجه ٢٢٢ وهلدبرند راس ١٢ وتاريخ كنائس لمرتين مجلد ٢ وجه ١١٠ (٢) موعظة ٢٨ عن ميلاد المسيح وجه ٦١٤ و ٦١٥

حصل من ذلك منفعة في تلك الاعصار الاولى . وكذلك من عيد الميلاد قبل ان صار حفظة عمومياً . وربما بعد ذلك ايضاً عند الانقياء الحقيقيين واصحاب الرزاة . ولكن بعد القرن الرابع فقدت هذه الایام قداسها ومنعتها وصارت رويداً رويداً مواسم فرح واعياد عالمية جسدية عوض ان تكون وسائل لنمو الفضيلة والتقوى . واما السهر والعبادات الليلية التي كانت نصير في الفصح والعصرة فقد صارت سبباً لفواحش عظيمة حتى انه بحكم احد المجامع^(١) منعت النساء عن الحضور فيها . فاذا ولو كانت النية في انشاء هذه الاعياد سالحة لكنها قد فسدت مع تمادي الزمان وصارت بالحقيقة وسيلة لاعمال كثيرة مغايرة للديانة المسيحية

وهذه الاعياد الاربعة المذكورة كانت هي وحدها اعياد الكنيسة في الاربعة القرون الاولى او بالاقل لم يكن غيرها الى قرب آخر القرن الرابع . لانه وان كانت بعض ايام تُحفظ لاجل تذكور الشهداء الاولين في بعض اماكن لم تُحفظ الا من الكنيسة او من الكنائس التي كانت بالقرب من الاماكن التي نالوا اكليل الشهادة فيها فلم تُحسب اعياداً عمومية كالاعياد المتقدم ذكرها

(١) قانون ٢٥ من مجمع اليبيريس وجه ٢٠٥

ونفس المجمع التريدينى المنعقد في القرن السادس عشر
والمؤيد لآراء الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يقول^(١) انه في مدة
القرون الاربعة الاولى كانت اعياد الكنيسة اولاً يوم الرب (اي
الاحد) ثانياً عيد الآلام ثالثاً عيد القيامة رابعاً عيد الصعود
خامساً عيد العنصرة سادساً عيد ميلاد المسيح وعامده . فمن
الواضح ان ذلك يتفق جوهرياً مع الراي المقدم هنا . فانه على يوم
الرب ومعمودية الرب يدخل جميع الباقي في هذا التعداد ونحن
لا نتكلم بالكلية عن يوم الرب لانه ولو كان المسيحيون الاولون
قد حفظوه لم يترتب منهم بل تسلموه من المسيح ورسوله

رابعاً في الايام المحفوظة لاجل تذكارات الشهداء

بما ان الشهداء كانوا مكرّمين جداً لاجل ثباتهم في الايمان
وتقديم حياتهم لاجل المسيح وانجيله نجد اخباراً قديمة عن ايام
مكرسة لاجل تذكارات استشهادهم . واقدمها كان لتذكارات
بوليكربوس الذي مات شهيداً سنة ١٦٧ وربما يوم تذكارات موثو
ابتداءً من ذلك الوقت . ثم حُظِظت بعد ذلك اعياداً لغيره من
الشهداء في نسة التي هي مدينة في اسيا الصغرى وفي انطاكية
وقيصرية وغيرها . ولكن لم يكن شيء من ذلك محفوظاً من عامة

(١) انظر كمينسي عن المجمع التريدينى مجلد ٤ وجه ٢٦٢

الكنيسة ابتدائياً بهذا المقدار. بل كانت تذكاراتهم تُحفظ في
الاماكن التي استشهدوا فيها فقط. فقد كانت اعياداً مكانية او
على الاكثر اقليمية.

ولما كثر عدد هؤلاء الشهداء تعين يومٌ لتذكارتهم جميعاً.
ولكن لم يُحفظ هذا اليوم بين الروم الى السنين الاخيرة من
القرن الرابع. وقد تأخر عن ذلك حفظه بين كنائس الغرب.
واول ما نجد ذكر هذا العيد بين الروم هو في احدى عظات
يوحنا فم الذهب^(١). واذ قد ابتداءً هذا القديس في الوعظ سنة
٢٨٦ فالظاهر بالضرورة ان هذا العيد ابتداءً بالقرب من هذا
العهد وربما بعد ذلك بسنين قليلة. فكان انشاؤه لا محالة في
السنين الاخيرة من القرن الرابع كما تقدم الكلام

وهذه الابام كانت تُحفظ حول مدافن الشهداء اذ كانت
تقرأ هناك فصصهم وتقدم لهم المدايح وتُجرى فرائض العبادة
ويُصنع سرّ الافخارستيا ويؤم الاغنياء ولائم. واشهر المواعظ التي
وعظ بها فم الذهب وباسيليوس الكبير وغريغوريوس التريتي
والنيسي وامبروسيوس وغيرهم قد خُطب بها في هذه الاعياد.
وكان المقصود بها انبهاض الاحياء للاقتداء بفضائل الموتى
الانقياء. ولكن مع انهم كانوا يكرمون ذكر الموتى هكنا لم يكونوا
يُندمون لهم كرامة دينية بل كانوا يقاومون بالسخط كل من ينهم

(١) موعظة ٧٤ عن شهداء كل العالم

بذلك كما ينفع من تصانيف اوغسطينوس^(١) وترنوليانوس^(٢) وفي
الذهب في اماكن عديدة . ولجل ايضاح ذلك نذكر شيئاً مما
قاله اوغسطينوس في هذا المعنى نظير مثال . فانه يقول^(٣) اننا
نتعلم ان نكرم الشهداء لان نعبدهم بل انما نعبد الله وحده الذي
نعبد الشهداء . لانه لا يجب ان نكون مثل الوثنيين الذين نحزن
عليهم لهذا السبب نفوس اي لانهم يعبدون الموتى من الناس . ثم
يقول ايضاً عن الشهداء اننا لا نتخذهم كاملة ولا نعبدهم كاملة . فاننا
لا نعطيهم هياكل ولا ملاجج ولا ذبايح ولا يقدم لهم الكهنة القرايين .
حاشا لله . فان هذه الامور انما نعمل لله فقط . ثم يوبخ الذين كانوا
يخفون الاعباد على مدافن الشهداء توبيخاً شديداً بقوله ان
الشهداء يكرهون اواني خمرهم وطبخهم وسكرهم على قبورهم . ولا
اقول ذلك لكي اضر او اوتب الذين ايسوا كذلك ولكن الذين
يفعلون مثل هذه الاشياء فليخف ذلك لانفسهم . فاني اقول
ان الشهداء يكرهون هذه الامور ولا يحبون الذين يفعلونها
ويغضون ويكرهون اكثر من ذلك كل عبادة تقدم لهم
ولكن مع ان هذه الايام قد تربت بنية صالحة وهي قصد

(١) ضد فوسنس كتاب ٢٠ راس ٢٠ و ٢١ (٢) احتجاجة

٢ و ٥٠ الى اسكابلوس راس ٥ (٣) عظة ١٠١ وجه ٥٧١
و ٥٧٢

فَوَ التَّقْوَى فِي الْاَحْيَاءِ لَا تُقَدِّمُ الْعِبَادَةَ لِلْمَوْتَى قَدْ نَجَّ عَنْهَا امُورٌ
 مُنَافِيَةٌ لِرُوحِ الدِّينَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ . فَانْتَهَمَ مَعَ تَمَادِي الزَّمَانِ اخْتُلِصُوا
 بَيْنَهُنَّ ابْنِيَّةٌ اَوْ كُنَائِسٌ عَلَى قُبُورِهِمْ . وَبَعْدَ مَا كَانُوا يَقْدُمُونَ اَوَّلًا
 فِيهَا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ صَارَ الْجُمْهُورُ يَقْدُمُ الْعِبَادَةَ لِلشَّهَدَاءِ اَنْفُسِهِمْ . وَهَكَذَا
 فِي تِلْكَ الْاَيَّامِ نَرَى اَصْلَ عِبَادَةِ الْقُدِّيسِينَ الَّتِي ظَهَرَتْ بَيْنَ
 الْكُنَائِسِ فِي الْقُرُونِ الثَّالِثَةِ . وَكَذَلِكَ عِبَادَةُ الْاَيْقُونَاتِ
 وَالذِّخَائِرِ نَسَبَتْ عَنْ هَذَا الْاَمْرِ ^(١) . قَالَ غَرِيغُورُ بَوسُ الِيسِي ^(٢)
 اَنَّ الْكُنَائِسَ الْمُبْنِيَّةَ لِاجْلِ اَكْرَامِ الشَّهَدَاءِ كَانَتْ مَزِينَةً بِصُورِهِمْ
 الَّتِي يَبَيِّنُ اَنَّهُمْ كَانُوا يُعْتَبَرُونَ بِمَا كَانَتْهَا نَائِبَةً عَنْهُمْ . وَاسَايُوسُ ^(٣)
 يَقْبَلُ فِي اَحَدِ الْاَمَاكِنِ بَيْنَ الْاَكْرَامِ الْمَقْدَمِ مِنَ الْوُثْنِيِّينَ لِاَهْلِهِمْ
 وَلَمْ يَأَلَّ مِنْ جَبَابَرَتِهِمْ وَبَيْنَ هَذِهِ الْاَعْيَادِ الْمَحْفُوظَةِ لِاجْلِ اَكْرَامِ
 الشَّهَدَاءِ . لَاعَلَى سَبِيلِ الشَّجَبِ لَعَلَّ الْوُثْنِيِّينَ وَلَكِنْ بِالْحَرِيِّ كَأَنَّهُ
 يَسْتَفْتِي الْاِفْتِدَاءَ بِهِ . فَانَ الَّذِينَ انْخَازُوا مِنْ عِبَادَةِ الْاَوْثَانِ اِلَى
 الدِّينَانَةِ الْمَسِيحِيَّةِ اِذَا وَجَدُوا بَعْضَ اُمُورٍ فِيْ اَعْيَادِ الشَّهَدَاءِ تُشَبِّهُ
 مَا كَانُوا مُعْتَادِينَ عَلَيْهِ فِي اَدْيَانِهِمُ الْاُولَى قَدْ نَقَلُوا إِلَيْهِمْ ذَلِكَ
 الْاَكْرَامَ الَّذِي كَانُوا يَقْدُمُونَهُ لِاَهْلِهِمْ . وَهَكَذَا عِبَادَةُ الْمَخْلُوقَاتِ
 الَّتِي قَاوَمَهَا الْاَبَاءُ الْاَوَّلُونَ مُقَاوَمَةً شَدِيدَةً اخَذَتْ تَدْرُجَ بَيْنَ

(١) متون جسر مجلد ١ وجه ٢٨٢ و ٢٨٣ (٢) خطبة

في مدح ثيودورس الشهيد راس ٢ مجلد ٢ وجه ١٠١١

(٣) الاستعداد الانجيلي كتاب ١٢ راس ١١

الناس رويداً رويداً

وكون عبادة الشهداء قد كانت بالتدرج تُصاغ على
اسلوب العبادة المتقدمة من الوثنيين في القديم لآلتهم هو ما لا
يشوبه ادنى ريب كما اوضح المعلم يوسوب في تاريخ المانيكيين^(١)
وتوجد عبارة في قصة حياة غريغور يوس توماتورغوس حسبها
كتبه غريغور يوس النبسي في تصانيف توماتورغوس التي نشرها
قوسبوس^(٢) وهذه العبارة تبرز ذلك صريحاً ولهذا قصدنا ان
نذكرها هنا حرفياً. وهي قوله فعند ما نظر غريغور يوس ان الجمهور
الجاهل البسيط كان متمسكاً باصناميته لما يوجد فيها من اللذات
والنعمات الحسية اذن لم في اعياد الشهداء القديسين ان يتنعموا
ويتلذذوا املاً انهم مع تمادي الايام ينتقلون باخبارهم الى حياة
اكثر اياقة وسيرة اكثر استقامة انتهى. والمراد كما يتضح جلياً من
القرينة السابقة والتالية انه اذن لم ان يرقصوا ويلعبوا في اعياد
الشهداء ويستعملوا الخلاعة وبذية الامور التي كان من عادة
عباد الاوثان ان يعملوها في هياكلهم في الاعياد

خامساً عيد الرسل

ان الاسباب التي دعت الناس الى اقامة عيد الشهداء

(١) مجلد ٢ وجه ٦٤٢ الى آخره (٢) وجه ٢١٢

كانت أصلاً لعيد الرسل أيضاً . فان كثيرين من الرسل ماتوا
 شهداء وجميعهم حُسيبوا مستحقين للتعظيم والكرامة نظير الشهداء.
 فن ثم استحسن المؤمنون ان يعينوا يوماً مخصوصاً لذكرهم . وكان
 الداعي الأكبر الى هذا الاستحسان امرين احدهما افتقار البعض
 من الجماعات بكونهم قد آمنوا أولاً على يد احد الرسل والآخر
 انه بعد ما اعتاد الناس على اتخاذ القديسين نظير محامين لهم
 كانوا يفضلون الرسل لذلك على غيرهم وكان هذا متأخراً عن
 الاول . والظاهر ان العيد المشترك بين بطرس وبولس ترتب
 قبل الجميع . واما اول دليل على وجود عيد لجميع الرسل فنجده في
 القرن السادس . فانه بيان من خطاب الاسقف فولجانتوس
 في روسي^(١) ان هذا العيد كان في ايامه محفوظاً من الكنيسة في
 افريقية مع ان آثاره انمحت من تلك الكنيسة بعد ذلك . ثم في
 اوائل القرن السابع اجتهد بونيفاسيوس الرابع في اثبات هذا
 العيد . ومن ذلك ينضح انه الى ذلك العصر اي سنة ٦١٠ لم يصر
 عمومياً في الكنيسة الغربية . واما وقت دخوله في الكنيسة الشرقية
 فلم نجد برهاناً قاطعاً يدل عليه بالتحقيق . ولكن ربما لم يكن ذلك
 بعيداً عن ابتداء القرن السابع . ومع وجود مثل هذه الآثار لهذا
 العيد لا ريب انه لم يكن حينئذ محفوظاً حفظاً ثابتاً . بل حُظِظَ
 في بعض الاماكن وأهل في غيرها . وكذلك في مكان واحد

(١) اعمال فولجانتوس وجه ١٢٢

حُفِظَ فِي عَصْرِ ثُمَّ تَرِكَ فِي آخِرِ

ثُمَّ تَرَبَّتْ اَيْضًا اَعْيَادٌ مُتَفَرِدَةٌ لِكُلِّ مِنَ الرُّسُلِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ
عِيدَ الرُّسُولَيْنِ بَطْرُسَ وَبُولَسَ كَانَ قَدْ اَمْتَدَّ حِفْظُهُ كَثِيرًا فِي آخِرِ
الْقَرْنِ الرَّابِعِ وَابْنِائِلِ الْخَامِسِ كَمَا يَبَيِّنُ مِنْ مَوَاعِظِ مَكْسِيُوسِ
التُّورِينِيِّ وَامْبْرُوسِيُوسِ وَلَاوْنِ الْكَبِيرِ وَاوْغُسْطِينُوسِ^(١) وَبِذِكْرِ
اِبْرُونِيمُوسِ اَيْضًا الَّذِي وُلِدَ فِي الْقَرْنِ الرَّابِعِ وَتَوَفَّى فِي الْقَرْنِ
الْخَامِسِ سَنَةَ ٤٢٠ اِنَّهُ حَضَرَ بِنَفْسِهِ فِي اَيَّامِ صِبَايِهِ الْاِحْفَالَاتِ
الْاَعْيَادِيَّةَ عَلَى قَبْرِ بَطْرُسَ وَبُولَسَ فِي رُومِيَّةِ^(٢) وَلَكِنْ ذَلِكَ
لَمْ يَكُنْ عَامًّا فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ نَفْسُ لَانَّهُ مَعَ اَمْتِدَادِهِ فِي بَعْضِ
اَمَاكِنَ مِنَ الشَّرْقِ لَمْ يَدْخُلْ فِي الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ حَتَّى سَنَةِ ٥١٠
وَذَلِكَ فِي عَهْدِ اِنْتِنَاسِيُوسِ^(٣) فَامْتِدَادُهُ بَيْنَ الْمَجْمُوعِ لَا يَدَّ اِنَّهُ كَانَ
بَعْدَ ذَلِكَ

ثُمَّ مَعَ تَمَادِي الزَّمَانِ تَرَبَّتْ اَيَّامٌ مَخْصُوصَةٌ لِلرُّسُلِ الْآخَرِينَ.
وَجَمِيعُ هَذِهِ الْاَيَّامِ كَانَتْ فِي اَوَّلِ الْاَمْرِ مَحْفُوظَةً فِي بَعْضِ اَقَالِمِ
وَمِنْ بَعْضِ كَنَائِسَ دُونَ غَيْرِهَا. وَالزَّمَانُ الَّذِي صَارَتْ فِيهِ
عُمُومِيَّةٌ لَا يُمْكِنُ تَعْيِينُهُ بِالتَّحْقِيقِ. وَاَمَّا الْاَقْرَبُ اِلَى الصَّوَابِ
حَسَبَ مَا يَظْهَرُ مِنَ الْاَشَارَاتِ الْمَوْجُودَةِ فَهُوَ أَنَّ عِيدَ يُوْحَنَّا

(١) سِجِلُ تَارِيخِ كَنَائِسِي مَجْدَ ٤ وَجِهَ ٢٠٥ (٢) تَفْسِيرُ

حَزَقِيَّالِ رَاسَ ٤٠ (٣) مَجْمُوعُ خُطَبِ ثَاوَدُورُسَ خُطَابِ ٢١

المعبدان قُبِلَ عمومًا في القرن السادس . وعيد يوحنا الانجيلي
بعد ذلك بقليل . واعياد الباقيين الذين لم نذكر آنفًا اسماءهم
بعد القرن العاشر الى القرن الثاني عشر^(١) ولا حاجة الى زيادة
شرح بهذا الخصوص

سادسًا اعياد مريم العذراء

قبل ان نتكلم عن هذه الاعياد بالتفصيل نذكر شيئًا
بخصوص الكرامة والعبادة المقدمة للعذراء فنقول
انه لا يوجد في الكتاب المقدس ذكرٌ لتتقدم كرامة دينية الى
مريم العذراء . نعم انها دُعيت من الملاك منعمًا عليها من الرب
ومباركة في النساء . وهي نفسها اذ حلَّ عليها روح الله تَنَبَّأت
قائلة يعطيني الطوبى جميع الاجيال^(٢) ولكن لا ينتج من عباراتٍ
مثل هذه انها تكون موضوعًا للعبادة . ولا يوجد في كل العهد
الجديد آية واحدة تثبت عادة مثل هذه . ولا وجد شيء في ما
علمه الرسل يعطي وجهًا لذلك . ونحن لانقول ذلك على سبيل
الاحتمار لمريم المباركة لانها من حيث هي والدة ربنا يسوع المسيح
وفي ذاتها طاهرة وقد وجدت نعمة عند الرب تستحق منا

(١) توما سبنو عن الاعياد كتاب ١ و ٢ راس ٢٢ فصل ١٠

(٢) لوقا ص ١ ع ٢٨ و ع ٤٨

الكرامة ولكن الكرامة ليست هي عبادة كما لا يخفى
وقد كانت عادة الكنائس في الاعصار الاولى مطابقة
بالتمام لهذا الرأى . لانه في الرابع مئة سنة الاولى كانت العبادة
لمريم امراً غير مسموع به وهذا لا يمكن انكاره^(١) اذ لا يوجد
لذلك اثر في شيء من قوانين الايمان القديمة . واقدام الآباء
والمؤرخين اما انهم لا يقولون شيئاً بالكليّة عن مريم العذراء واما
انهم يكتفون بمجرد تسميتهم لها والدة مخلصنا . وهذه التسمية
موجودة ايضاً في اقدم قوانين الايمان^(٢) ومن سكوت اصدقاء
كثيرين للمديانة مثل بوليانيوس وكلسوس وبرفوريوس وهيركلس
وليبانيوس يتضح انها لم تكن موضوعاً للعبادة الى القرن الخامس .
فان هؤلاء الاصدقاء عاشوا في القرن الثالث والرابع وكانوا اشد
الاعلاء للديانة المسيحية . ولو قدروا ان يجدوا دليلاً لهذه العبادة
لكانوا اعترضوا بها على هذه الديانة الحديثة . وبوجود امر آخر
يبرهن نفس ما ذكرناه . وهو ان كثيرين من آباء الكنيسة
الاقدمين يذكرون بعض زلات نسبوها الى مريم كما فعل
ابريناوس^(٣) وترتوليانيوس^(٤) واوريجانوس^(٥) وباسيليوس^(٦) وفي

(١) سيجل نارنج كاثي مجلد ٢ وجه ٢١٨ (٢) سيجل

نارنج كاثي مجلد ٢ وجه ١٨٣ (٣) كتاب ٢ راس ١٨

(٤) في تجسد المسيح ٧ (٥) على لوقا موعظة ١٧

(٦) رسالة ٢٦٠ او ٢١٧ الى اثينا

الذهب^(١) واوغسطينوس^(٢) حتى ان ايفانيوس بحسب جماعة من النساء اراثة لاجل انها كن في عبادة مزيم^(٣) وهؤلاء النساء كن يدعين كوليريد ياني. وكانت عادتهن ان يعبدن مريم نظير اله ويقدمن لها كهكبا. فانهن حين كن باقيات في ديانة الاوثان كان من عادتهن ان يقدمن نوعا من الكعك للزهرة التي هي الاله وثنية فلما صرن مسيحيات افكرن ان هذه الكرامة يجب تقديمها بالاولى الى مريم^(٤)

وكلام ايفانيوس الذي اشرنا اليه ضد هؤلاء النساء هو قوله ان جسد مريم طاهر حقا ولكن ليس الها. نعم ان العذراء كانت عذراء ومكرمة الا انها لم تعط لنا لكي نعبدها بل انما هي كانت تعبد الذي ولد منها حسب الجسد ونزل من السماء من حضن الارب. ولما يحذرنا الانجيل قائلا بكلام الرب نفسه مالي ولك يا امرأة لم تأت ساعتي بعد^(٥) حتى من قوله مالي ولك يا امرأة لا يظن احد ان العذراء هي اكثر من امرأة. وقد دعاها امرأة كانه يتنبأ عن الانشقاقات والارتقاقات التي كانت عبيدة ان تحدث على الارض لكي لا يسقط احد في هذه

(١) على متى موعظة ٤٥ وعلى يوحنا موعظة ٢١ (٢) في الطبيعة والنعمة راس ٢٦ (٣) عن الارتقاقات اربعة ٧٨ فصل ٢٢ وارثة ٧٩ (٤) مسهم تاريخ كنائسي كتاب ٢ جزء ٢ راس ٥ فصل ٢٥ (٥) يوحنا ٤: ٢٠

الحماة الارثقية ويقدم لها اكراما منوطا . فان جميع هذه القصة
الارثقية تستحق الضحك وهي كانت خرافة قديمة نسائية . فآية
عبارة في الكتاب الالهى تخبرنا عنها ومن من الانبياء
سمع ان نعبد انسانا حتى لا نقول امرأة . نعم ان الاناء
كان فاضلا الا انها مع ذلك كانت امرأة كسائر النساء
بالطبيعة . ونظرا الى العقل والحاسة هي مكرمة جدا كما في
اجساد القديسين . وان اردنا ان نذكر شيئا غير هذا في مدحها
نقول انه كما ان ايليا كان نظير بتول منذ ولادته ولبث هكذا
دائما واخذ الى السماء من دون ان يعاين الموت وكما كان
يوحنا الذي انكأ على صدر المسيح وكان الرب يحبه وكما كانت
نقلا القديسة كذلك كانت مريم . الا انها كانت اطهر بسبب
الخدمة التي حُببت اهلها لها . ولكن لا يجب ان يُعبد ايليا وان
كان بين الاحياء . ولا يوحنا وان كان بواسطة صلواته قد جعل
موته عجيبا او بالحري نال هذه النعمة من الله . ولا يجب ان
نقدم العبادة لتقلا ولا لغيرها من القديسين او القديسات . لانه
لا يجب ان يستعوذ علينا هذا الضلال القديم حتى نترك الهي
(اي الله) ونعبد الاشياء المصنوعة منه كما قيل اتقوا المخلوقات
وعبدوها دون الخالق وتعطلوا بضائرهم^(١) لانه اذا كان لا يجوز
نقدم العبادة للملائكة فكم بالاولى لا يجوز تقديمها للنبي وُلدت

من حنة. التي أُعْطِيَتْ لَحْنَةً مِنْ يَوْأَكِيمَ. الَّتِي أُعْطِيَتْ لِابْنِهَا وَامِهَا
بِوَسْطَةِ الصَّلَاةِ بِاللَّجَاجَةِ وَبِالْوَعْدِ الَّتِي وُلِدَتْ وَلَادَةً لَا تَخْتَلِفُ
عَنْ غَيْرِهَا وَلَا تَغَايِرُ الطَّبِيعَةَ بَلْ كَسَائِرُ النَّاسِ مِنْ زَرْعِ رَجُلٍ
وَاحِشَاءِ امْرَأَةٍ. لِأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ أَحَدًا يُولَدَ عَلَى الْأَرْضِ ضِدَّ
طَبِيعَةِ النَّاسِ إِلَّا أَنَّهُ جُمِلَ لَهُ (أَيُّ الْمَسِيحِ) وَحْدَهُ فَرَقٌ وَلَهُ
وَحْدَهُ خَضَعَتِ الطَّبِيعَةُ وَهُوَ كَخَالِقٍ وَحَاكِمٍ عَلَى الْمَادَّةِ جَبَلٍ
ذَاتِهِ مِنَ الْعِذْرَاءِ كَمَا مِنَ الْأَرْضِ. وَهُوَ اللَّهُ نَارًا مِنَ السَّمَاءِ وَالْكَلِمَةُ
مُتَّخِذًا جَسَدًا عَنِ الْعِذْرَاءِ الطَّاهِرَةِ لَا مِنَ الْعِذْرَاءِ حَتَّى تُعْبَدَ وَلَا
حَتَّى يُجْعَلَهَا إِلَهًا وَلَا لِكَيْ نَقْدُمَ نَحْنُ شَيْئًا لِاسْمِهَا. فَلَنُكْرِمَ مَرْيَمَ وَلَكِنْ
لِنُعْبُدَ اللَّهَ الْآبَ وَالْابْنَ وَالرُّوحَ الْقُدُسَ وَلَا يَعْبُدُ أَحَدٌ مَرْيَمَ. إِلَى
هَذَا كَلَامُ إِيْفَانْيُوسَ (١)

ثُمَّ أَنَّهُ فِي وَقْتِ الْجِدَالِ مَعَ النَّسَاطِرَةِ أُعْطِيَ لِقَبْ آمَ اللَّهُ
لِمَرْيَمَ. وَهَذَا اللَّقَبُ كَانَ سَبِيًّا كَبِيرًا لِأَنْشَاءِ عِبَادَتِهَا وَاثْبَاتِهَا.
وَلَكِنْ هَذَا اللَّقَبُ لَمْ يَكُنْ مَعْرُوفًا الْبَتَّةَ إِلَى الْقَرْنِ الْخَامِسِ. وَفِي
أَبْتَدَائِهِ أَخَذُوا بِسَتْمَالُونِهِ ثُمَّ أَمْتَدُّوا بِالتَّدرِجِ حَتَّى صَارَ اسْتِمَالُهُ
عُومِيًّا. فَانْ كِيرَالْمَسِ اسْقَفَ الْإِسْكَندَرِيَّةَ الَّذِي تَوَفَّى سَنَةَ ٤٤٤
وَبِرُوكْلُوسَ اسْقَفَ الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ الَّذِي تَوَفَّى سَنَةَ ٤٤٦ هَذَا أَوَّلُ
مَنْ أَعْطَاهَا عِبَادَةً دِينِيَّةً (٢) وَأَوَّلُ مَنْ حَكَمَ بِهَذِهِ الْعِبَادَةِ أَنَّمَا هِيَ

(١) انظر بانورمانانوس ضد ٨٠ ارتنة مجلد ٢ كتاب ٢

(٢) كولمان وجه ٤٤٠ وسجيل مجلد ٢ وجه ٢١٩

الجمع السابع المام الملتزم في القسطنطينية سنة ٦٩٢ المسي مجمع
ترويللو. فاذا بحثنا بالتفوق عن العصر الذي فيه ابتدأت
العبادة تقدّم لها نرى انه القرن الخامس لاننا فيه نرى الاثر
الاول الوحيد لذلك. ونرى انها امتدت اكثر في اواخر
القرن السابع واول القرن الثامن لانه لا يصدق انها صارت
عامة قبل زمان الجمع الذي حكم اولاً بها

ثم نذكر هنا بعض الاسباب التي اقتادت الى عبادة مريم
الغذراء كما هي مذكورة في كتب مؤرخي الكنيسة

السبب الاول هو اجتهاد المسيحيين بعد القرن الرابع في
ادخال كثير من الآراء الاساسية من ديانة الوثنيين ومزجها
بالديانة المسيحية. ووجد ميل الى ذلك في اواخر القرن
الثالث وعلى الخصوص في القرن الرابع وما بعده فيما بين
المسيحيين كما يشهد جميع المؤرخين الكنائسيين. ويمكننا ان
نستشهد بسهولة بمؤرخين كثيرين لهذه القضية ولكن بما ان
ذلك من الامور المثبتة جيداً نكتفي بالاشارة الى قليل منهم في
المحاشية^(١)

ان الوثنيين كانوا يعرضون على الديانة المسيحية بانها

(١) سجل تاريخ كنائسي قديم مجلد ٢ وجه ٢١٩ ووجه ٢٢٠

ومسهم تاريخ كنائسي مجلد ١ وجه ٢١١ ووجه ٢١٢ كتاب جسر

مجلد ١ راس • فصل ٩٦ وفصل ٩٧

محزنة خالية من الطلاوة. ولأجل دفع هذا الاعتراض ادخل المسيحيون تعاليم وعوائد وثنية الى الديانة المسيحية لكي يرضوهم ويستميلوهم اليها. واذ كان كثيرون من المسيحيين محدثين في الايمان وقد تركوا العوائد الوثنية من برهة بمرهة بسيرة قبلوا هذه العوائد باكثر سرعة. ذكر مثلاً لذلك ان اشياء كثيرة لألهة وثنية نُقلت الى المسيح. وان الترانيل القديمة للكلمة هي تشبيهات واضحة للترانيل المنجّية اصلاً الى الاله الوثني الشمس. وان الاشياء الدارجة للالهة المسماة زهرة توجهت الى مريم حتى انه يوجد مشابهة عظيمة بين ترانيل الزهرة والترانيل الموجهة الى العذراء في القرون التالية. ثم ان بعض المؤرخين القدماء يذهبون الى ان الایام المكرّسة لمريم كانت قديماً اعياداً وثنية كما سوف يرد بيانه

السبب الثاني هو اعتقاد الناس في ذلك الوقت بفضل العفاف والعيشة البتولية الذي امتد في القرن الرابع. وكون كثيرين من الآباء القدماء متمسكين بهذا الاعتقاد واضح من المدائح البليغة التي مدحوا بها البتولية. ولا بد ان هذا الاعتقاد من شأنه ان يوجه العقل الى مريم نظير مثال عظيم كامل للبتولية وبزبد اعتبارها ويسهل الطريق لتقديم العبادة الالهية لها

السبب الثالث هو عادة تقديم الكرامة الخصوصية للشهداء واجراء العبادة على قبورهم واستدعائهم وقت الحاجة نظير

شفعاء عند الله التي ابتدأت في اواخر القرن الرابع . واما كون هذه الكرامات الباطلة للمشهداء والقديسين التي لم تكن في الابتداء الا افتداء بالوثنيين قد انتقلت من الامة الوثنية الى الرسل اولاً ثم الى الملائكة ثم الى مريم العذراء اخيراً فقد انضغ جلياً من شروسك في ناربخو الكنائسي (جزء ٩ وجه ١٩١)

السبب الرابع هو قيام كنائس على اسم مريم . فانه في سنة ٤٣١ دُعيت كنيسة في افسس كنيسة مريم . وبما ان هذا الامر بذكرونه ليس كأنه على غير ما لوف العادة يظهر ان هذه العادة لا بد ان تكون قد وُجدت قبل هذا الزمان

واذ قد تقرر ذلك نتقدم الآن الى ذكر بعض من اعظم الاعباد المحفوظة اكراماً لمريم . وبالنظر الى زمان دخول هذه الاعباد نقول بالاجمال انها ابتدأت في القرن الخامس نحو سنة ٤٣١ ونبت أخذة في الزيادة الى القرن الرابع عشر^(١) . غير انه لم يُحفظ شيء منها عموماً الا في القرن السادس وما بعده

عيد تطهير مريم العذراء

هذا العيد رُسم في القرن السادس^(٢) ودليل ذلك قد ذكره

(١) الآباء الاوائل لكميفسي مجلد ١ وجه ٢٠١ وسجيل تاريخ

كنائسي قديم مجلد ٢ وجه ٢٢١ (٢) تاريخ نيسيفارس ١٧

بنكهام^(١). والامر الوحيد المختلف فيه انما هو وقت ابتداءه .
فذهبت جماعة الى انه ابتداء في ايام الملك بوستين الذي استولى
من سنة ٥١٨ الى ٥٢٧. وذهب آخرون الى انه ابتداء في ايام
بوستينياوس الذي استولى من سنة ٥٢٧ الى سنة ٥٦٥. والارجح
انه ابتداء في المدة الثانية

واما نظراً الى سبب رسمه فوجود اساس متين للظن بان
اصلة من عوائد وثنية . فان كثيرين من المؤرخين هم على هذا
الراي مثل هسبنان^(٢) وبوجرتن^(٣) وشميد^(٤) والبابا هلدبراند^(٥)
واوغستي^(٦) وكان شهر شباط الذي يُحفظ فيه هذا العيد محسوباً
من اعظم الاعباد الاحتفالية في رومية الوثنية . واسم هذا الشهر باللاتينية
فبرواري ومعناه التطهير كما ذهب جمهور القدماء . وفي آخر هذا
الشهر كان يُحفظ كل سنة عيد تطهير عظيم اكراماً لفبروا أم
الاله مريخ . وبالاجمال كان يجتمع في هذا الشهر اعياد كثيرة
للرومانين الوثنيين مثل عيد الالهة يونوفروانا وعيد بروسرينا
واحتفالات الاله بلوطو وعبادة ارواح الموتى وعبادة الالهة
الجهنمية وغير ذلك . والتطهيرات المستعملة في هذا الشهر كان

(١) بنكهام مجلد ٩ وجه ١٧٢ ووجه ١٧٣ (٢) هسبنان

كتاب ١ وجه ٤٠ (٣) بوجرتن وجه ٢٩٠ و٢٩١

(٤) شميد تاريخ عن الاعباد وجه ٩٠ الى اخره (٥) هلدبراند

وجه ٤٢ (٦) اوغستي جزء ٢ وجه ٧٩

يمكن نقلها بسهولة من الديانة الوثنية الى عيد تطهير مريم العذراء كما لا يخفى. والبعض من العلماء الكاثوليكين كيعقوب الفاراجيني وبارونيوس ودورند ولا سيما العالم الشهير بيلا المحترم يسمون ان اصل هذا العيد ناتج من المبدأ المقبول في الكنيسة الذي سبقت الاشارة اليه وهو انه يجب نقل بعض اعياد وثنية الى اعياد مسيحية. اولاً لكي يزيد بذلك رونق الديانة المسيحية. وثانياً لاجل ازالة بعض عوائد نفاقية. وكان يمكننا الاتساع في ما تقدم وابراد براهين بالتفصيل. ولكن لاجل الاختصار عدلنا عن ذلك. ومن اراد التوسع في هذا الموضوع فليراجع التاريخ المسيحي اسميل مجلد ٢ وجه ٢٢٦ و٢٢٧

عيد بشارة مريم العذراء

اختلفت العلماء في زمان وضع هذا العيد. فذهب قوم الى انه وضع في القرن الرابع. وذهب اناس قلائل الى انه كان اوله في القرن الثالث. ولكن لا يوجد براهين كافية لاثبات ذلك كما هو مسلم من كثيرين من علماء الكاثوليكين مثل كافي ودوين وبارمونيوس وغيرهم. وهؤلاء يذهبون الى انه ابتداء في القرن السابع. ووجوده في هذا القرن يتضح من اعمال مجمعات انعمنا في هذا العصر وما مجمع توليدو ومجمع

القسطنطينية^(١) حيث بُذكر على طريق ييات منها انه كان
لاحالة عموميا في تلك الايام . وقد يُجتمَل انه كان يُحفظ عند
الاكثرين الى القرن السادس . ولهذا نلتزم ان ننسب الى القرن
السادس او السابع

واختلاف الآراء في هذا الامر ربما يكون ناتجا من كونه قد
حُفِظ في البداية لاجل اكرام المسيح ولم يقتصر بمرم الا في القرن
الخامس والسادس وما يليهما . ومعلوم انه قد ترتب لاجل تذكّار
بشارة الملاك لمريم بتجسد المسيح

عيد زيارة مريم لاليصابات

هذا العيد رتبة اوربانوس السادس سنة ١٢٨٩ . وسببه
القريب هو الطلب الى مريم ان ترفع الانشاقات المزمّة من
الكنيسة : لانه كان باباوان معاً مدة خمسين سنة احدهما في رومية
والآخر في افنيون . على انه لم يكن محفوظاً عند الجميع حتى ولا
في الكنيسة اللاتينية الى مجمع باسل الملتئم سنة ١٤٤١ الذي
حكم به حكماً خصوصياً^(٢)

(١) مجموع توليدوس سنة ٦٥٩ راس ١ ومجمع تروللو سنة ٦٩٢

راس ٥٢ (٢) مجمع باسل جلسة ٤٢

عيد انتقال مريم الى السماء

ان العهد الجديد لم يذكر موت مريم البتة . وفي الاربعة القرون الاولى لم يدع احد من آباء الكنيسة الاولى بمعرفة شيء من ذلك . وايفانيوس في القرن الرابع يقول ان انتقالها من العالم هو مشكل لا يمكن حله^(١) . ولكن في القرن الخامس اخذ كثيرون من علماء الكنيسة المشهورين يفتكرون ان قوة الله ربما ظهرت عند موتها . الا انهم لم يجزموا بذلك البتة بل انما ذكروا ان ذلك امر ممكن

ولكي نبين كيف كان الجميع يجهلون هذا الامر بالكلية نحتاج الى ذكر الآراء المختلفة المتعلقة به فقط . فنقول اولاً ذهب قوم الى انها ماتت موتاً طبيعياً غير ان نفسها أخذت حالاً الى السماء . على انهم لم يقدرُوا ان يتفقوا على تعيين وفاتها في اي يوم اوسنة . ومن اصحاب هذا المذهب اوسابيوس^(٢)

ثانياً ذهب آخرون الى انها ماتت موت الشهداء مستشهدين في ذلك بما جاء في انجيل لوقا ٢: ٣٥^(٣)

(١) ايفانيوس ارنه ٨٩ فصل ١١ (٢) تفسير الايام

(٣) امبروسيوس على لوقا ٢: ٣٥ وحياء القديسين

ثالثاً ذهب جماعة الى انها لم تمت منكربن ان يكون لها طبيعة بشرية ولها لم يكن الموت سلطاناً عليها^(١)
 رابعاً تردّد آخرون بين ان جسدها ترك على الارض او رُفع الى السماء^(٢)

خامساً ذهب الاكثرون في هذا القرن اي الخامس الى ان مريم نُقلت بجسدها ونفسها الى السماء . وقد ساعد هذا الراي على الخصوص تقليدٌ عن ديونيسيوس الاروبواغي . وخلاصة ما قاله في ذلك انه عند وفاة مريم اجتمع جميع الرسل بسرعة من جميع اقطار العالم حيث كانوا يبشرون الى اورشليم الى بيت هذه المباركة . وجئنا الى يسوع مع ملائكة واخذ نفسها واحضرها الى ميخائيل رئيس الملائكة . وفي اليوم الثاني وضع الرسل الجسد في القبر وحرسوه منتظرين ظهور الرب . ثم ظهر المسيح ثانية ونقل جثتها المقدسة الى السماء في سحابة . وهناك اتحد ايضاً الجسد بالنفس وفاز بالسعادة الابدية انتهى^(٣) . وفي ذلك نقول اولاً انه لا يوجد ذكرٌ لشيء من ذلك في العهد الجديد ولا في تصانيف احد المؤرخين الصادقين في القرون الاولى^(٤) . ثانياً ان الكتب

(١) ايفانيوس في الارتفات ٧٩ (٢) اوساردوس وادو
 في الاسنهادات (٣) تاريخ كنائسي لنيسيفوروس كتاب ٢
 راس ٢١ وكتاب ١٥ راس ١٤ (٤) سيجل تاريخ كنائسي قديم
 مجلد ٢ وجه ٢٢٦

المتولة عنها هذه القصة هي الآن محسوبة عند الجميع انها مزورة^(١).
ثالثاً انه لم يذكر ذلك احد من المؤرخين قبل القرن السادس^(٢).
مع ان الشخص الذي تُنسب اليه كان في عصر الرسل . ولا يخفى
انه لو كتب بالحقيقة شيء من هذا القبيل لم يصدق ان الابهاء
والمؤلفين الكثيرين الذين كانوا في الخمسة القرون الاولى
يسكتون عن ذلك ولا يذكرونه في تصانيفهم . ومن ثم لا يمكن ان
يؤتى بقصة غير صحيحة بالكلية نظير هذه

ولكن اذاعة هذا التقليد زادت هذا العيب اعتباراً . فحفظه
اولاً اليونان نظير عيد اوفاتهما . ومن الحمل انهم ابتدأوا
في اول الامر بمحفظته في بعض اماكن في القرن الخامس . غير
انه لم يصر عموماً الا في القرون التالية . وحسب ما ذهب اليه
نيسيفوروس^(٣) كان الملك موريثيوس الذي ابتداء ملكه سنة ٨٢٠
هو الذي جعله عموماً . غير انه لم يصر محفوظاً عند الجميع حتى
ولا في القرن التاسع نظير عيد لانتقالها نفساً وجسداً الى السماء .
لانه في ذلك العصر ايضاً كان مشكوكاً به^(٤). ثم ان لاون

(١) تاريخ كنائس لمسيهم مجلد ١ وجه ٢٢٥

(٢) نياندر ٢ فصل ٢ وجه ٥٤

(٣) تاريخ كنائس لبيسيفوروس كتاب ١٧ راس ٢٥

(٤) قوانين لكارولي كتاب ١ راس ١٤

الرابع بواسطة اضافته الى هذا العيد مهراً وصيماً جعله بين الاعياد المعتبرة . واخيراً في القرن الثالث عشر صار عاماً عند الجميع نظير عيد الانتقال النفس والجسد . ولم يصر هكذا قبل القرن المذكور لانه قبل ذلك الوقت كان كثيرون يعتبرون حالة نفسها وجسدها في الموت نظير حالة بنية المؤمنين^(١)

عيد ميلاد مريم

لا نعلم وقت ابتداء هذا العيد عن يقين . وقد نسبة جماعة الى القرن الخامس وآخرون الى السابع وآخرون الى التاسع وغيرهم الى القرن الحادي عشر . والاقرب الى الصواب ان ابتداءه كان في الشرق وانه صار معروفاً ومنبوعاً عند الاكثرين هناك في آخر القرن السابع وفي الغرب في القرن الحادي عشر . ولكن كان ذلك بالتدريج وبقوة العادة اكثر ما كان بوصية الكنيسة^(٢)

- (١) ماغرتن كتاب ١ وجه ٢٠٨ وسجيل تاريخ كنائسي قديم
 مجلد ٢ وجه ٢٢٧ (٢) سجل تاريخ كنائسي قديم مجلد ٢
 وجه ٢٢٩ ووجه ٢٤٠ وبشرين تفسير العهد القديم وجه ٤٥
 و٤٥٥

عيد الحبل بمريم بلا دنس

ان التعليم الذي كان سبباً لرسم هذا العيد هو ان مريم قد
حبل بها بنوع عجب وولدت على خلاف مجرى الطبيعة حتى
لا تكون مشتركة في الخطية الاصلية

والذي اشتهر هذا التعليم اولا هو بسكاسيوس روبرنوس في
كتابه عن ولادة مريم العذراء في القرن التاسع . لكن قاومه في
ذلك على الخصوص روبرنوس الذي كان معاصراً له وانسلوس
وآخرون ممن ظهورا بعده . ومع ان هذا الرأي قد اشتهر شخصاً
واحد في القرن التاسع لم يمتد الا بعد ثلاثة قرون او اكثر .
ثم في القرن الثاني عشر حامي عنه بطرس لمبردوس الا انه قد
حصل له مقاومة عظيمة من الاكثريين مثل برنردس^(١)
وتوما اكويناس^(٢) وجميع علماء القرن الثالث عشر المشهورين^(٣) ثم
ان جماعة من القسوس في مدينة ليون من مملكة فرنسا يقال
لم قانونيون تبعوا هذا الرأي نحو سنة ١١٤٠ وانشأوا عيد الحبل
بلا دنس . وهذا اول ذكر لهذا العيد . ولا يمكن وجود اثر ايا
بتقليد له قبل ذلك^(٤) . ثم انه وقع جدال عنيف في هذا الموضوع

(١) رسالة ١٧٤ في قانونيون ليون (٢) تلخيصه جزء ٢

راس ٢٧ قضية ١ (٣) متون جسر راس ٥ فصل ٧٨

(٤) برنردس رسالة ١٧٤ راس ٥٩ وما يتلوه

واستمرّ مئتين او ثلاث مئة سنة او اكثر حتى ان المدرسة العمومية في باريس اشتركت في هذا الجدل . ومجمع اكسفورد المتعقد سنة ١٢٢٢ حسب هذا العيد غير ضروري . وكذلك الرهبان الفرنسيون والدومينيكيون اشتهروا بالجدل في هذا البحث فقام الاولون عن هذا التعليم وقاؤوه الآخرون . ولم يتفرّر تعليماً حقيقياً حتى اثبتّه مجمع باسل في جلسته السادسة والثلاثين سنة ١٤٢٩ . والبابا الاول الذي حكم بحفظ هذا العيد هو سكستوس الرابع في سنة ١٤٧٦ وهذا البابا وعد بالغفران كل من يحفظه بورع^(١)

ثم ان المناوئة التي وقعت عليه كانت سبباً لعدم امتداده بسرعة . فانه مع كونه قد ثبت من المجمع المذكور وبحكم البابا وحفظ في بعض الاماكن في القرن الثاني عشر لم يصير عموماً في الكنائس الى القرن الخامس عشر^(٢)

واذ ليس لنا فرصة لاطالة الشرح عن الاعياد نقول بالاجمال ان جميع الاعياد الموجودة قبلاً والمحفوطة الآن لابد انه كان ابتداءها منذ القرن الخامس والسادس وكان اكثرها بعد ذلك بزمان طويل

٠ (١) . مسهم مجلد ٢ وجه ٥٢٧ (٢) سجل مجلد ٢ وجه ٢٤٦

الباب الثاني

في اصل الصوم وتاريخ دخوله

قبل ان نذكر عادة المسيحيين القدماء بخصوص الصوم
لننظر اليه كما هو موجود في العهد الجديد
فان مخلصنا لم يأمر بالصوم ولا نهى عنه . بل انه له المجد
اهل حفظ الاصوام اليهودية التي اضيفت الى الشريعة الموسوية
وكانت محفوظة بكل تدقيق عند الفريسيين^(١) وقد اشار الى
ان مثل هذه السنن لا تطابق حقيقة ديانته^(٢) ولكن مع انه لم يأمر
بالصوم ولا نهى عنه كان يتكلم عنه كأنه مناسب في بعض
الاحوال ويفيد اجاباً^(٣) حتى انه هو نفسه صام مرة صوماً
عظيماً عجيباً^(٤) الا انه حذر تلاميذه من استعمال سنن مثل هذه مع
عُجب ورياء^(٥) وبالجمله يجب ان نلاحظ انه عندما يتكلم المسيح
عن الصوم يعني به مطلق الامتناع عن الاكل لا مجرد ابدال

(١) مت ١٨: ١ و ١٩ (٢) مت ١٤: ٩ - ١٨ مر ٣: ١٥ -

٢٢ لو ٢٣: ٥ - ٢٩ (٣) مت ٩: ١٥ و ٢١: ١٧ (٤) مت ٤: ٢

٢ (٥) مت ١٦: ٦ - ١٨

الطعام . اي الصوم بمحصر اللانظ لا القطاعة

ثم ان تعليم الرسل واستعمالهم كانا على نفس هلا المنوال . فانهم لم يأمرُوا بالصوم ولا رفضوه وقد قرنوا الصوم بالصلاة في بعض احوال مهمة^(١) فيكون تعليم العهد الجديد في هذا الصدد ان الصوم متى حُفِظَ بطريقة لائقة ونية خالصة يكون مفيداً الا انه لم يؤمر به البتة بل ترك بتمامه لارادة كل انسان لكي يعين زمانه ومدته وما اشبه ذلك

ان الامتناع عن الاكل المصحوب بالتواضع مع الصلاة لنوال المغفرة والنعمة مفيدٌ ومطابقٌ لكلام الله . لانه بذلك يصبر العقل به اكثر استعداداً للتأمل في الامور السماوية والقلب منسجماً وحزيناً على الخطية ويتسهل صرف الوقت في قراءة الكتب المقدسة والتفكر في الاشياء الروحية وفي تقديم صلوات خصوصية بالحرارة . فصومكم لنا مقبول عند الله ومفيد للنفس . والكتب المقدسة لا نأذن الا بثلثه . وصوم المسيحيين الاولين كان حسب ما ذكرناه . فان كثيرين منهم كانوا يقرنون الامتناع عن الاكل بعبادتهم . ولكن مقدار زمان الصوم كان متروكاً بالتام لحكم كل انسان بالخصوص^(٢) ومع ان الصوم كان مستعملاً

(١) اع ١٢: ٢ و ٢٣: ١٤ (٢) مسيم مجلد ١ وجه ١٠٦

بكثرة لم يذكره إلا نليل من آباء الكنيسة في الاعصار الاولى.
فقد تكلم عنه راعي هرمس في القرن الاول باستخفاف حيث
يقول لا ربح ولا شيء من الفضيلة ينتج من الامتناع الجسدي.
فلا جدر ان تصوموا حتى لا تظلموا ولا تدعوا الحاسات
الخبيثة تستولي على قلوبكم^(١) قال ثم الذهب اني احزن من انكم
تفكرون ان هذا (اي الصوم) الذي هو ادنى الفضائل كافٍ
للخلاص. مع ان امورا اخرى اعظم اهمية كالحجة والنواضع
والرحمة تُترك بالكلية^(٢)

ثم ان حنظ الاصوام يظهر انه دخل في الكنيسة شيئا
فشيئا بالتدريج. فان يوستينوس الشهيد الذي توفي سنة ١٦٤
او سنة ١٦٧ يتكلم عن الصوم مقرونا بالمعاد في افسس. وفي ابام
ايريناوس الذي اسشهد سنة ٢٠٢ كانت قد جرت العادة في
بعض الاماكن ان يصوموا قبل الفصح. واكليمندس الاسكندري
يذكر اصواما اسبوعية. ولكن هذه العادة لم تكن وقتئذ عمومية.
وذلك يتضح من ان ترنوليانوس الذي ألف كتابا في الصوم
سنة ٢٠٠ وسنة ٢٢٠ يتشكى كثيرا من قلة الاعتبار للصوم في
الكنيسة الارثوذكسية^(٣) واوريجانوس الذي توفي في القرن الثالث

(١) كتاب ٢ تشبيه ٥ (٢) موعظة ٤٧ على متي وجه ٤٢٥

(٣) ترنوليانوس عن الاصوام

وهو قد ألف نسايف كثيرة يذكر هذه القضية مرة واحدة فقط وذلك في عظمه العاشرة على سفر اللاويين حيث يندم في هذا المعنى آراء رسولية فقط. ويظهر من ايفانيوس انه في آخر القرن الرابع كانت اصوام الاربعاء والجمعة والاربعين يوماً قبل الفصح محفوظة. وانه لم يكن اصوام غير هذه^(١) ولكن حتى في هذا الزمان المتأخر اي القرن الرابع لم يكن اتفاق عمومي في الكنيسة على هذا الصوم الاخير بل كان لكل كنيسة عادة خصوصية من جهته^(٢) ومع انه لُقّب بالصوم الاربعيني لم يستمر في ذلك العصر كل هذه المدة. بل كل شخص كان يصوم ايّاماً يندر ما يشاء ويمنع كل النهار او جزءاً منه عن اللحوم. وذلك الامتناع كان كلياً او جزئياً بحسب الاختيار^(٣)

والامر الذي يجب ان نلاحظه هنا كل الملاحظة هو ان جميع الاصوام عند المسيحيين الاولين كانت اختيارية بالتام. ولم يكن احد مضطراً ان يصوم. بل عادة الصوم حينما وجدت دخلت بسكوت وكانت متروكة بالكفاية لارادة كل شخص بمفرده^(٤) والصوم الذي كان اكثر حفظاً بين المسيحيين

(١) راجع تعليم الايمان (٢) سيجل مجلد ٢ وجه ٧٥ ووجه

٧٦ (٢) تاريخ الكنيسة لنياندر مجلد ٢ جزء ٢ وجه ٦٤٦

٦٤٧ (٤) سيجل مجلد ٢ وجه ٧٦

الاقدمين هو الصوم الاربعيني. ومع ذلك كان هلا الصوم في ايام
ترتوليانوس وفي الذهب منروكا لحكم كل شخص بهرده. وكانوا
يُجْزَوْنَ على حفظه كأنه امرٌ مفودٌ الا انهم لم يلزموا به كأنه
امرٌ ضروري لا بد منه. فهكذا يتكلم عنه في الذهب في اماكن
عديدة كما في عظمه العاشرة والثانية والعشرين^(١) ورتوليانوس
يقول انه ما عدا الجمعة والسبت قبل الفصح لم يحفظ المسيحيون
في زمانه اياماً اخرى للصوم الا ما شاعت خواطرهم^(٢) ومثل
ذلك يقول سقراطيس وبرودنتيوس وفيكتور الانطاكي وبروسيد
واوغسطينوس الذين ظهروا في القرنين الرابع والخامس والتموا
كتبتاً شتى. ومن اراد الوقوف على آرائهم فليراجع التأليف المشار
اليه في الحاشية^(٣)

ثم انه مع كونه في اول الامر اخيارياً قد حُكِمَ فيما بعد
بوجوبه الا ان ذلك لم يكن حتى سنة ٥٦١ بعد المسيح حين حكم
به مجمع ارنس الاقليمي في قانونه الثاني. ثم ان مجمع توليدو
الثامن المنعقد سنة ٦٥٢ حرم كل من اكل لحماً في الصوم قبل
الفصح. حتى في القرن الثامن صار الصوم مطلقاً يُعتبر كهل ذي

(١) موعظة ١٠ على التكوين مجلد ٢ وجه ٩١ وموعظة ٢٢

مجلد ١ وجه ٢٧٧ (٢) ترتوليانوس عن الاصوام راس ٢ و ١٢

(٣) تيلر ارشاد المتشككين وجه ٦٢٩

استخناق عند الله وكان من خالفه يقع تحت طائلة الحرم^(١)
 ويوجد امر آخر يجب له الملاحظة وهو ان مجرد تغيير
 الطعام لم يجسب صوماً بل كان الصوم يقوم بانقطاع كامل
 عن كل غذاء كل النهار الى المساء^(٢) وبوم الاربعاء والجمعة كان
 هذا الامتناع يبقى على الاكثر الى العصر كما نرى في كلام
 ابيفانيوس^(٣) ورودنتيوس اللذين ظهرا في القرن الرابع . وكان
 ترتوليانوس وغيره ينجحون بوجوب حفظ النهار كله في هذه
 الاصوام ايضاً . والامتناع المطلق انما كان هو الامر الجوهري في
 الصوم عند القدماء . وكون الصوم الذي قبل انصح قد كان
 يُحفظ هكذا ينضح من شهود كثيرين كما بروسيريوس^(٤) وفي الذهب^(٥)
 وباسيليوس^(٦) وغيرهم . وبنيت هذه العادة في الكنيسة الرومانية
 الى القرن الثاني عشر كما يبرهن بلرمينوس العالم الروماني^(٧)
 ولكن بعد ما يمتنعون هكذا مدة النهار كلوا كانوا يتناولون الطعام
 من البقول او اللحوم حسبما يشتهون^(٨)

- (١) سيجل مجلد ٢ وجه ٧٥ (٢) تاريخ كنائسي قديم ابنكهام
 كتاب ٢١ راس ١ فصل ١٦ (٣) ابضاج الايمان (٤) عن
 اعياد واصوام راس ١٠ (٥) موعظة ٤ على التكوين مجلد ٢
 وجه ٢٧ وموعظة ٦ وجه ٦٠ (٦) موعظة ١ عن الصوم
 (٧) بلرمينوس مجلد ٤ عن الاعمال الداخلية كتاب ٢ راس ٢
 (٨) بنكهام كتاب ٢١ راس ١ فصل ١٧

مكلاً كان الصوم في الابتداء ولكن بعد ذلك وربما في القرن الثالث دخلت عادة أكل الخبز والملح وشرب الماء فقط. إلا أن هذه الشدة انحلت شيئاً فشيئاً إلى أنه في القرن الحادي عشر أو بعده أُعطي الأذن في استعمال جميع الأطعمة ما عدا اللحم والبيض والجبن والخمر^(١) ومن ذلك ينضح أن الفطاعة لم تدرج في الكنيسة الغربية إلا بعد المسيح بالف ومئة أو ألف ومئتي سنة

وإذ قد تكلمنا عن الصوم بوجه العموم لا حاجة إلى الكلام عن جميع الأصوام بالتفصيل. وأما صور الفصح فقد سبق الكلام فيه بالاختصار في الباب السابق (راجع وجه ١٥) وكانت العادة أن يصوموا قبل الميلاد والفصح أيضاً. والظاهر أن الصوم الأسبوعي في يوم الأربعاء الذي فيه تأمر اليهود على المسيح ويوم الجمعة الذي تألم فيه دخل في الكنيسة باكرًا. فان ترتوليانوس وأكليمندوس الإسكندري في القرن الثاني وفكتور بنوس الشهيد في آخر القرن الثالث يتكلمون عن هذين اليومين. ولكن مع أنها كنا يُحفظان مكلاً قديماً كانا اخباريين وكان المسيحيون يمتنعون فيها عن جميع الأطعمة إلى وقت العصر

ونقول من جهة الأصوام مطلبنا أن لبس شيء من التي لم نذكرها ومن التي ذكرناها أيضاً قد أمر بوجوب حفظها حكم من الأحكام الكنائسية البقية قبل القرن السادس

الباب الثالث

في اصل عبادة القديسين والملائكة

ان المسيحيين في القرون الثلاثة الاولى كانوا يحترزون جداً في عبادتهم من كل ما يشبه عبادة الخليفة^(١) وكانت عبادتهم تُقدّم لله وحده. ولم تمتد عبادة القديسين والملائكة كثيراً الى القرن الرابع والقرن الخامس^(٢) نعم ان اسبابها البعيدة وبعض آثارها ايضاً ظهرت قبل ذلك الا انها لم تصر عمومية قبل الزمان المذكور

وقد ذكر احد المعلمين المشهورين اعظم الاسباب واقواها لهذه العبادة^(٣). فنذكرها هنا من دون زيادة شرح. وهي
اولاً شدة اعتبارهم لامر الاستشهاد واعتقادهم بان شفاعة الشهداء لها منفعة عظيمة. فان البعض من الآباء كاوريجانوس وباسيليوس الكبير^(٤) وغريغوريوس النيسي^(٥) وغريغوريوس

(١) سيجل مجلد ٢ وجه ٢٦٢ (٢) جسر مجلد ١ راس ٥

فصل ٩٧ (٣) سيجل مجلد ٢ وجه ٢٦٢ الى وجه ٢٦٥

(٤) باسيليوس الكبير موعظة ١٩ في ٤٠ شهيداً فصل ٨

(٥) غريغوريوس النيسي على الشهيد ثيودوروس

حفيرة وسنرهم اياها بثياب ثينة وتقبلهم لها^(١)

ثم منذ ابتداء القرن الخامس انقطعت الصلاة لاجل
القدسين كأنها لا تناسب حالتهم المحيطة وصار الناس ينسبون
اليهم قوة عظيمة ومجدًا ساميًا . وقبل ان الشهداء الذين كانوا
مجهولين ظهروا انفسهم . وان آخرين اعلنوا المكان الذي دفنوا
فيه^(٢) ولما كان المسيحيون حينئذ يقدمون صلواتهم لله وحده^(٣)
بل كانت العادة المألوفة عندهم ان يحملوا الى احد القديسين
فقط لاجل طلب شفاعته . ويقدار ابتعاد الوقت عن زمان
الشهداء صارت الكرامة والعبادة المقدمة لهم اعظم . ومن ثم بعد
ظهور عبادتهم كثر جدًا عدد هؤلاء الشغفاء . وكان الناس
يتقربون لانفسهم قدسين مخصوصين لاجل المحاماة عنهم ويقبلون
لهم كدائس لعبادتهم . وتوسع الناس في عبادة القديسين وانتشرت
بينهم هذه العبادة حتى ان الوثنيين الذين كان المسيحيون قبلًا
يؤخونهم على عبادتهم الموتى^(٤) صار لهم فرصة عظيمة لتوبيخ
المسيحيين على هذا الامر بعينه^(٥)

(١) ابرونيوس ضد فيجلا تيوس فصل ٤ (٢) امبروسيوس

رسالة ٢٢ (٣) امبروسيوس الى رومية ٢٢: ١ (٤) ارنوبيوس

ضد الامم ٦١٦ (٥) كيرلوس ضد بوليانوس كتاب ١٠

وجه ٢٢٥

ثم انه في القرن الرابع باسره لم تكن مريم العذراء تُفضل
تفضيلاً خصوصياً على بقية القديسين. غير انه كان رأي الجمهور
انها بقيت عذراء دائماً^(١)

واما عبادة الملائكة فالظاهر ان اول من اوصى^(٢) بها
امبروسيوس الذي توفي سنة ٣٩٧ وبعد زمانه توجد آثار كثيرة
لعبادتهم ولكن اقل ما لعبادة القديسين

(١) من جنسار مجلد ١ راس ٥ فصل ٩٧ وجه ٢٨٧

(٢) امبروسيوس عن الارامل راس ٩



الباب الرابع

في اصل عبادة الايقونات

ان اول من رسم هذه العبادة مجمع نيقية الذي انعقد في ايام
ابرينا الملكة سنة ٧٨٦ م انه وجد قبل ذلك آثار لعبادة
الايقونات ولكن ملاحظا هو المجمع الاول الجامع الذي حكم بها
انه في الثلاثة القرون الاولى لا يوجد اثر لعبادة الايقونات .
ومما واضح من الاعتراضات التي اعترض بها الوثنيون
المقاومون على الديانة المسيحية بانه لا يوجد عندهم هياكل ولا
صور ولا تماثيل للآلهة . وايضا من سكوت المضادين من اليهود
الذين كانوا لا يحالون بتهمون المسيحيين بعبادة الاصنام لو وجدوا
بينهم آثار هذه العبادة . ويتضح ايضا من المقاومة والنفور
للذين ابداهما آباء الكنيسة في تلك الاعصار ضد التماثيل
المصنوعة للموضوعات الدينية . وكذلك من شدة لومهم للارائفة
ولاسيما الغنوستيكيين على وضعهم صورة المسيح وصور الفلاسفة في
مجسماتهم . وايضا لنا برهان آخر يعضد ما نحن بصدده .
وهو انه فيما بين الاواني الكنسية التي لكنائس تلك الايام
المهدومة بالاضطهاد لا يوجد ذكر للصورة كما اوضح ذلك بكل

بيان سيجل وبنكهام^(١)

لاريسب ان المسيحيين في تلك الاعصار كانوا مغرمين بوضع بعض علامات دينية على ملابسهم واواني بيوتهم كما كانوا يضعون على خواتمهم حمامة او سفينة وما اشبه ذلك . ولكن لم يؤذن بدخول شيء من ذلك في كنائسهم . والظاهر ايضا ان ترنوليانوس يذم هذه العادة^(٢) ويرفض بكل صرامة كل شيء من قبيل الصور والتماثيل . لانه يقول ان الشيطان هو الذي علم الناس صناعة عمل التماثيل والصور وجميع اصناف الاشياء^(٣)

ثم ان اول اقتراب من هذه العادة كان وضع صور تاريخية لموضوعات ذكّرت في الكتب المقدسة في الكنائس في القرن الرابع . وربما وُجد بعض امثلة لذلك في آخر القرن الثالث . وقد استحسن ذلك لاجل الجهلة الذين لا يقدرّون ان يقرأوا الكتب المقدسة . وكانت تلك الصور اشارات الى بعض مناظر واعمال موجودة في الكتاب المقدس . وذلك كصورة آدم وحواء باكلان الثمرة المنهي عنها . ويوسف يباع لعبودية مصر من اخوته . وداود يقاتل جليات . وسليمان يكرّس

(١) سيجل مجلد ١ وجه ٢١٢ و ٢١٣ وبنكهام مجلد ٢ وجه ٢٩٦

فصل ٦ (٢) ترنوليانوس في العنافة راس ١٠ (٣) ترنوليانوس

عن عبادة الاوثان اس ٢

هيكله. والمسح يموت على الصليب.

وكان غريغوريوس النيسي المتوفى سنة ٣٩٤ أول من أشار الى هذه العادة في الشرق^(١) وباولينيوس اسقف نولاين سنة ٤٠٩ وسنة ٤٢١ يذكرها أولاً في الغرب. وكان المقصود منها انما هو تعليم الذين لا يعرفون القراءة ما لا يقدرُونَ على تحصيله من الكتب. وذلك كما تُعلم الحوادث التاريخية الآن مراراً للاولاد بواسطة الصور قبل ان يتعلموا القراءة. فلما كان المقصود بها في الاصل. على ان البعض كانوا يمنعون ايضاً استعمال اي نوع كان من الصور في الكنائس ولم يقصد اولئك المسيحيون البتة ان يقدموا لهذه الصور شيئاً من العبادة. لانهم كانوا يكرهون ذلك الى الغاية كما يتضح جلياً من كلام آباء ذلك العصر

من ذلك ان قسطنطيا اخت قسطنطين الكبير طلبت من اوسايوس اسقف قيصريّة صورة المسيح. فهو في جوابه قدّم لها براهين مستطيلة ضد استعمال الصور. نكتفي بذكر جزء من كلامه في هذا المعنى. فانه بعد ان يبرهن كيف انه لا يمكن عمل صورة لهيئة المسيح بقول ولكن اذا طلبت صورة الجسد النراي المائت كما كان قبل ان تغير هكلا (اي تجسد) فانك تكونين قد نسبت الآيات في العهد القديم الناهية عن عمل تمثال

(١) غريغوريوس النيسي عن الشهيد ثيودوروس راس ٢

الشيء في السماء او على الارض . متى رأيت مثل هذه الاشياء في الكيسة او سمعت عنها من الآخرين . اليست هذه الاشياء (اي صور الموضوعات الدينية) منبهة من الكنائس في جميع العالم . ثم يخبر انه وجد مرة مع امرأة صورة رجلين لابسين ثياب فلامنة وكانت تلك المرأة تحميمها المسيح وولس فزق تلك الصورة لكي لا تتع تلك المرأة او غيرها في الشكر بسببها . ولا يظن ان المسيحيين يحملون الهم معهم في صورة كالوثنيين . وايضا يقول اذا اراد احد ان يرى صورة المخلص قبل ان يراه وجهها لوجه فاية صورة يمكنه ان يحصل عليها احسن من الصورة التي رسمها له المجد عن تنس في الكتب المقدسة (١)

واوريجانوس في رسالته ضد سلسوس يقول انه لا يمكن لاحد ان ينال معرفة الله بواسطة عبادة الصور . وايفانيوس اذ صادف صورة في احد الاوقات اغداظ جدا حتى انه مزق الثوب التي كانت مرسومة عليه . وهو يخبر عن هذه القضية بقوله (٢) اني بعد ان وصلت الى انابلاتا وهي قرية من فلسطين وجدت هناك قطعة قماش مصبوغة ومنقوشة معلقة على باب الكيسة وعليها صورة كأنها صورة المسيح او شخص غيره من القديسين لانني لا اذكر جيدا صورة من كانت . وعند ما رأيت

(١) رسالة اوسابيوس اسقف قيصرية الى قسطنطينا

(٢) رسالة ايفانيوس الى يوحنا الاورشليمي

ذلك المنظر المضاد لنص الكتاب المقدس مزفتها ثم بعثت لم
سنراً غيرها وطلبت ان يؤمر بان مثل هذه الاستار لا تُعلّق في
كنيسة المسيح وهي قد دخلت ضد ديانتنا . ثم ان استاريوس
استف اماسيا نحو سنة ٤٠٠ بجرم استئصال صور المسيح^(١) وفر
الذهب يرفض هذه العادة بقوله علم النفس ان تصوّر ثوباً نظير
ثوب المسيح لانها تقدر ان تصوّر ذلك اذا ارادت . ولكن كيف
يمكن ذلك وبأيّ الالوان او المواد . ليس بشيء من الالوان
والمواد ولكن بالنضيلة والوداعة والتواضع فقط^(٢)

واوغسطينوس يقول هكذا بطلاط غلطاً عظيماً اولئك الذين
يطلبون المسيح ورسله لا في الكتب المقدسة بل على الحيطان
المدهونة^(٣) وفي مكان آخر يدعو عبادة القبور والصور خرافة^(٤) .
وهو ايضاً يقول عن الصور هكذا ان لها قوة لافساد النفس
اعظم ما لتعليمها . ويخصي الذين يعبدون الصور بين ذلك
العدد العظيم من المسيحيين بالاسم الذين لا يعرفون شيئاً عن
حقيقة الديانة المسيحية . واثاناسيوس وكتنتيوس ايضاً يشجبان
هذه العادة شجباً شديداً . وكذلك ابرونيوس الذي اشتهر في

(١) مواعظ استاريوس في الغني ولما زار (٢) نياندر عن فم
الذهب جزء ٢ وجه ٦١ و ٦٢ و ١٤٢ الى ١٤٨ وفم الذهب في متى
موعظة ٧٨ (٢) اوغسطينوس في اتفاق الانجيليين راس ١
فصل ١٠ (٤) عن عوائد الكنائس الكاثوليكية

اللغة اللاتينية رسالة ايفانيون في هذا البحث^(١) وقد نهى عنها ايضاً مجمع النيرا الاقليمي الملتئم سنة ٢٠٥^(٢) بقوله ان الصور يجب ان لا تكون في الكنائس لئلا يكون ما يُعبد ويُجَدُّه منقوشاً على الحيطان. فيتضح مما ذكر انه مع وجود بعض الميل في تلك الاعصار الى هذا الامر قد نهى عنه نهياً مطلقاً في كنيسة المسيح ولكن مع ان صوت الآباء كان شديداً ومرقفاً هكلاً ضد الصور ازداد الميل نحوها في القرن الخامس بالتدريج. وفي ختام القرن السادس ابتدا البعض بقبول الصور وبركعون امامها ويقدمون لها المنجور ويقفون امامها الشموع ويتظفرون منها عمل عجائب ولمَّ جرّاً^(٣) وفي القرن السادس اعذر لوتيوس اسقف نيبوليس في قبرس عن عبادة الصور اذ اجاب تريف اليهود للمسيحيين بكونهم قد سقطوا في عبادة الاوثان. ويحتمد في الحاماة عن هذه العادة. ومن الطرف الآخر قام فيلكسموس اسقف هيرابوليس في سوريا لمقاومتها قائلاً يجب ان لا يظن احدٌ انه يكرم المسيح بواسطة صورة. فان المسيح يرتضي فقط بالعبادة بالروح والحق وعزل جميع الصور تظير هذه من الكنائس^(٤). ثم انه في القرن السابع والقرن الثامن

(١) كما هو مذكور في تاريخ كنائس المذبح مجلد ٢ وجه ١١٢

و ١١٢ (٢) جلسة ٢٦ (٣) مسهم مجلد ٢ وجه ٤٤

(٤) نياندر مجلد ٢ قسم ٢ وجه ٦٢٠ و ٦٢٢

تزايد الميل نحو عبادة الصور ظهوراً وانتشاراً حتى حصل عليه جلالٌ شديد . وكثيرون من اوجه الناس في الكنيسة حرموا الصور بالكلية مع ان آخرين كانوا يحامون عن جوازها بكل حرارة . فبقي الخصام في القسطنطينية نحو ستين سنة

ثم ان الملك لاون وقسطنطين ابنه ولاون الرابع ابن ابنه اجتهدوا في ايام ملكهم ان يلاشوا الايقونات . واذ كانوا على كرسي الملك انعقد مجمعان من الاساقفة في القسطنطينية احدهما سنة ٧٣٠ والاخر سنة ٧٥٤ وكلاهما حرم استعمال الايقونات . ومن ثم أُعِدِم كثيرٌ منها وأُحرق بالنار ووقع على المحامين عنها قصاصاتٌ مختلفة . الا انه سنة ٧٨٦ في ايام ايرينا الملكة انعقد مجمعٌ في نيقية كما تقدم واثبت عبادة الايقونات وحكم بالقصاص على الذين يحكمون بان السجود والعبادة يجب تقديمها لله وحده . ومن ذلك الوقت فصاعداً اخذت العادة في الامتداد بين الاكثرين . لانه عند موت ايرينا سنة ٨٠٢ تجدد النزاع في امر الايقونات بين اليونانيين ودام نحو خمسين سنة . واما بين اللاتينيين في الغرب فحصل جلال مثل هذا في القرن التاسع على ان مجمع فرانكفرت المنعقد سنة ٧٩٤ حرم عبادة الايقونات . وهكذا فعلت مجامع أخرى بعد ذلك وعلى هذا النمق دخلت عبادة الايقونات بعد نزاعٍ طويل فيما بين اليونانيين في القرن الثامن وبين الرومانيين في الغرب في القرن التاسع

ولكن اهل جرمانيا والارمن كانوا لم يزالوا برفضون ذلك^(١) حتى انه في القرن الثاني عشر انقطع من بين هذين الشعبين. فان نيسانوس كانيانس الذي كتب تاريخ الملوك الذين تملكوا في القسطنطينية من سنة ١١٨٠ الى سنة ١٢٠٦ يقول انه عندما دخل الملك برباروسا الى مدينة فيليبوبوليس وذلك سنة ١١٩٠ لم يكن باقيا فيها الا الارمن فقط. لانهم كانوا متنفذين في المبادئ الاساسية من الديانة مع اهل جرمانيا وعبادة الايقونات كانت محرمة من هذين الشعبين^(٢) وهكذا حُرمت هذه العادة صريحا بين الارمن حتى الى آخر القرن الثاني عشر

فالباپا بناديكتوس الثاني عشر الذي عاش في القرن الرابع عشر يشكو الى ملك ارمينية ورئيس اساقفتها انه سمع من اناس صادقين ان كثيرين في ارمينية الكبرى والصغرى قد تمسكوا ببعض غلطات مكروهة. ويطلب ان يشجب مثل هذه الغلطات بجميع من الارمن. ثم يذكر هذه الغلطات ضمن مئة وسبع عشرة مقالة وفي المقالة الرابعة والسبعين منها يقول انه بين ارمن ارمينية الكبرى لا توجد ايقونة للمصلوب اي المسيح ولا يوجد ايضا ايقونات آخر للقدسين^(٣). فيتضح بمقابلة هذين

(١) مسهم مجاد ٢ وجه ١٠١ (٢) اخبار اسحق انجلو كتاب ٢

(٣) اخبار كنائس لربلند عن سنة ١٢٤١ عدد ٤٥ الى ٤٩

الامرين الخارجيين ان الايقونات كانت محرومة عند الارمن الى القرن الثاني عشر. وانها حتى القرن الرابع عشر لم تكن قد دخلت بينهم عموماً. فكانوا اذا من آخر الطوائف المسيحية في قبول الايقونات



الباب الخامس

في اصل رسم اشارة الصليب وعبادته

انه لا يوجد دليل في الكتاب المقدس على رسم اشارة الصليب. ولكن بظهور ان هذه العادة دخلت قديماً بين المسيحيين الاولين. فان ترزوليانوس الذي توفي نحو سنة ٢٢٠ هـ اقول من اشار اليها وليس احد من بقية آباء الكنيسة في عصره يذكرها. ومن اسلوب كلامه عنها^(١) يتضح ان هذه العادة كانت موجودة حيث اقل ما يكون في افراسية حيث كان ساكناً. واما بعد زمانه بقليل فتكلم عنها غيره من العلماء

واما اصل استعمال رسم الصليب فكان هكذا. ان الكنيسة القديمة كانت تعتبر جداً التعليم العظيم الموجود في الانجيل ان الخلاص يجلبه انما هو بدم المسيح المسفوك على الصليب فقط وكان هذا التعليم دائماً موضوع تأملاتهم فاذا كانوا يرغبون ان يكون هذا التعليم دائماً امام عيونهم ويفتشون عن رمز مناسب بشير الى جميع البركات المسبغة علينا بواسطة موت المسيح اتخذوا اشارة الصليب رمزاً بسيطاً لهذه الغاية. ولم تكن هذه

(١) ترزوليانوس عن اكليل المجاهد في كتاب ١٥

الإشارة عندهم الآ علامة بسيطة . حتى انهم لم ينسبوا قوة الى نفس الصليب ولا الى الإشارة بل كانوا يستعملونها واسطة محسوسة يدلون بها على هذه القضية المختصة بالديانة المسيحية وهي ان جميع اعمال المسيحيين وكل سلوكهم يجب ان يقدس بالايمان بالفادي المصلوب وان هذا الايمان هو اقوى الوسائط للغلبة على كل شرٍ ولحفظ الانسان منه

وبما انهم علقوا هذا المعنى عليه تراهم كانوا يستعملون هذه الإشارة مراراً كثيرة جداً في جميع اعمالهم الاعتيادية اي عند النوم والنيام والاكل واللبس واضاءة السرج وفي الصلاة وبالأجلال في كل حركة قاصدين ان يدلوا بذلك على ان الديانة الانجيلية يجب ان تدخل في جميع اعمال الناس

ولكن مع كون الامر هذا كان بسيطاً في اواخر القرن الثاني وفي القرن الثالث ايضاً حصل فيه تغيير عظيم في القرن الرابع . ومن حين نسب قسطنطين الملك انتصاره على مكستينوس في هذا القرن الى الصليب زاد اعتبار الصليب جداً^(١)

وقبل ان هيلانة ام قسطنطين في سنة ٣٢٦ وجدت الصليب الحقيقي في اورشليم وشاعت الاخبار عنه بان عجائب عظيمة صنعته بواسطته وبواسطة قطع منه حتى بواسطة الصور

(١) اوسابيوس حياة قسطنطين كتاب ١ وجه ٤٠ وكتاب

المأخوذة عنه ايضاً. ولنا نقول هنا شيئاً من جهة صدق الخبر عن وجود الصليب الحقيقي مع انه الآن لا يُصدّق عند جمهور العلماء. ولكن سواء كان ذلك صحيحاً ام غير صحيحٍ قد وجدنا ان هذا التقليد وعلى الخصوص الاشاعة بانه حدثت عجائب بواسطة كان سبباً لصيرورته موضوعاً لاعظم نوعٍ من العبادة. واخيراً وُضعت قِطْعٌ منه على المذبح^(١) ومن ذلك الزمان فصاعداً صاروا ينسبون قوة عظيمة جداً الى اشارة الصليب الى الصليب نفسه. وكانوا يعبدونه ويدعون له في كل مكانٍ بعجائب مختلفة ويتظنون منه فوائد جزيلة

ولكن هذه العبادة لا يوجد لها رسمٌ في مدة الثلاثة القرون الاولى. ولنا برهان صريح انه لم تُقدّم عبادة للصليب قبل القرن الرابع. فان ميناشيوس فيلكس المؤلف المسيحي في رومية كتب في ابتداء القرن الثالث خطاباً يقول فيه ان المسيحيين كانوا يعبدون المسيح واما الصليبان فانه ينكر صريحاً انهم كانوا يعبدونها^(٢)

واذ كان الصليب نفسه يعتبر على هذا المنوال تبعه استعمال الصليبان معلنة في الاعناق ومنقوشة على الابداب

(١) سوزا من تاريخ كنائسي كتاب ٢ وجه ٢ (٢) ميناشيوس

فيلكس وجه ٢٨٠ و ٢٨٤

ومرسومة على اشياء كثيرة من امتعة البيت . وكذلك استعملت
 الصلبان في الكنائس ورُسِمت على اوانيهها . وذلك من القرن
 الرابع فصاعدًا



الباب السادس

في اصل الاعتراف للمفوس وفرض قانون الاعتراف

ان الاعتراف لله بالخطايا والتوبة عنها هما من الامور التي يأمر بها الكتاب المقدس وهما ممدوحان في الغاية . ولكن لا يوجد برهان في كتاب الله للعوائد الجارية من هذا القبيل في بعض الكنائس . ولا يوجد في عمل المسيحيين الاولين ما يعطي وجهاً لذلك . ولم يثبت الاعتراف كما هو مستعمل الآن الى سنة ١٢١٥ . وذلك كن من البابا اينوسنتيوس الثالث^(١) ثم في سنة ١٥٥٠ مجمع تريينت ثبّت هذه العادة وجعل الاعتراف سرّاً من اسرار الكنيسة

ان الآيات المأخوذة من العهد الجديد لاثبات الاعتراف للمفوس هي في الغالب ما ورد في انجيل متى ٦: ٣ وبوحنا اولى ٩: ١ حيث يُذكر الاعتراف بالخطايا . ولكن كل من تأمل في هذه الآيات يتضح له انه لم يقصد بها الاعتراف المخصوصي للمفوس بل بالحري التوبة والاعتراف لله اللذان بدونهما لا يمكن نوال الغفران . واما ما جاء في رسالة يعقوب الرسول

(١) المجمع اللائقاني قانون ٢١

١٦:٥ الذي يُسند عليه كثيرًا فإنه يستلزم اعترافًا متبادلًا لا سرّيًّا للنسب فقط لأنه قال اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات ولم يقل اعترفوا للنسب. فلا شك أنه يستلزم اعتراف النفوس للشعب كما يستلزم اعتراف الشعب للنفوس على حدٍّ سوى

ان الاعتراف كما هو جارٍ الآن لم يوجد بين المسيحيين الاولين. نعم انه وُجدَ عندهم اعتراف إلا أن ذلك كان تأدييًا كسبًا جهاريًا. اذ كانوا يعترفون بخطاياهم لله القدير لاجل الغفران منه لا للنفوس طلبًا للحملة كما هي العادة الآن. فان آباء الكنيسة كاسيلوس الكبير^(١) وفم الذهب^(٢) وغيرها يعلمون صريحًا ان هذا الاعتراف انما يجب ان يكون لله وحده لا لاحد من الناس مطلقًا سواء كان لجميع الكنيسة ام لخدام معينين. وبما ان هذا الاعتراف كان تأدييًا كانوا يستعلمونه جهريًا لامام احد الاساقفة او النفوس على الانفراد بل بحضرة جميع الكنيسة. ولكن مع انه كان يختلف بالكلية عن الاعتراف للنفوس الذي ثبت في القرن الثالث عشريناد الناس الى هذا رويدًا رويدًا

ثم ان الذي كان المسيحيون في الثلاثة القرون الاولى يدعونه اعترافًا وقانونًا كان على هذه الصفة. وهي انه عندما كان يسقط احدٌ منهم في خطية مشهورة او يُقطع من شركتهم

(١) تأملات في مز ٨٠:٢٧ (٢) موعظة ٢١ في الرسالة الى

البرانيين

فاذا اراد الرجوع الى حضن الكنيسة كان يلتزم ان يعمل بعض اعمال من التواضع والتشفات تكون علامات للتوبة الخاصة . وكان جميع ذلك يقرن بوعده الاصلاح في المستقبل . فالذي كان يُطلب منهم من هذا القبيل كان على قسمين . احدهما الاعتراف جهراً بخطاياهم . والثاني ممارسة بعض اعمال من التواضع والتشف . ومن ذلك نتج اسم الاعتراف والقانون مع انه بالحقيقة لم يكن سوى ناديب كنائسي . وجميع هذه الامور كانوا يلتزمون بها لكي يظهروا للكنيسة ندامتهم وحزنهم بواسطة التهديدات والدموع . وكانوا يلتزمون بتجدد علامات الحزن هذه مراراً كثيرة اذ هم يطلبون من المؤمنين ان يصلوا ويتوسلوا الى الله من اجلهم

ثم ان اعمال التواضع التي كانت تُطلب منهم كانت نظير الركوع في عبادتهم عند ما يكون الآخرون وقوفاً . والامتناع عن جميع علامات الفرح والزينة وعن حضور الولائم والملاهي . وليس المسوح وتغطية الرؤوس بالرماد وهلمّ جراً . وكان الرجال يلتزمون بقطع شعورهم وحلق لحاهم . واما النساء فكانن يلتزمّن ان يقفن بشعرٍ مسرسل ويلبسن منديلاً مخصوصاً^(١)

(١) تاريخ كنائسي لاوسا يوس كتاب ٥ راس ٢٨ وابرونيموس رسالة ٢٠ وترنوليانوس عن التوبة راس ٩ وكبريانوس عن الساقطين

ويجب ان نلاحظ بنوعٍ خصوصي ان الاعتراف لم يكن الى هولاء القسوس بنية نوال الغفران من الله وانما كان فقط بنية تحصيل الرجوع الى انعامات الكنيسة . نعم ان الاعتراف كان سرّياً لكنه كان على قصد الاشهار فيها بعد لاجل تكميل القانون . ولم يدع احدٌ من خدام الكنيسة في ذلك العصر اي في آخر القرن الرابع بان له سلطاناً ان يغفر الخطايا باسم الله^(١)

ولكن لا شك ان تعيين هولاء القسوس لاجل قبول التائبين سهل الطريق لترتيب المعرفين في القرون المتأخرة . فان التأديب الفاسي الذي كان في الثلاثة القرون الاولى اخذ في الانحطاط بالتدرج . حتى ان العادة القديمة في الاعتراف الاخباري بالخطايا الخصوصية والسرية امام الكنيسة بطل استعمالها في اواسط القرن الخامس . وعوض تلك الاعترافات الجهرية امام جميع الكنيسة صاروا يعترفون اخبارياً للكهنة فقط وذلك سرّاً^(٢) على انه في بعض الاحوال كان هذا الاعتراف يقرأ علانية . ولكن لاون الكبير الذي كان اسقفاً على رومية بين سنة ٤٤٠ و ٤٦١ نهي عن اشهار هذه الاعترافات^(٣) ومن ثم

(١) تاريخ كنائس لشراك مجلد ٤ وجه ٢١٨ الى ٢٢١

(٢) مسهم مجلد ١ وجه ٤١٧ (٣) راجع نصائحه رسالة ١٢٠

وفي بعض النسخ رسالة ٨٠

تُسَبَّ غالبًا طريقة الاعتراف السري الى الاسقف المذكور. وكان يُظَنُّ حسب هذه الطريقة ان لكل قسبي قوة وسلطانًا ان يقبل الاعتراف ويمارس وظيفة شفيع الى الله عن النائب وان يحكم بالفقران باسم الله. ولكن هذه الطريقة نفسها كانت مختلفة كثيرًا عن الاعتراف للقسوس والفقران بواسطته للذين درجا في الكنيسة في القرن الثالث عشر. لان الاعتراف بالخطايا كان متروكًا لضير كل واحد والقانون كان لم يزل عملاً اختياريًا لم يُضْطَرَّ احدٌ اليه. ولا كان يُظَنُّ ان للنسيس سلطانًا ان يغفر الخطايا. حتى انه بعد عصر لاون كان للذنوب حرية ان يعترف بخطايه اما للكهنة او لله وحده^(١)

والى القرن الثاني عشر لم يُحَسَب الاعتراف بالخطايا الخفية شرطًا ضروريًا للفقران. بل واسطة للاصلاح فقط كما يظهر صريحًا من تصانيف معلمي ذلك العصر العظيمين المعلم غرتيان^(٢) والمعلم بطرس لمبرد^(٣) ولا نُسِبَتْ قوة خصوصية على الحل الى القسوس لانهم عوض هذه الصورة انا احلك الى آخره كانوا

(١) تاريخ كنائس لشارك مجلد ٤ وجه ٢١٨ الى ٢٢١
وسيجل مجلد ١ وجه ١٩٤ ووجه ١٩٥ (٢) افعال غرتيان
عن التوبة قسم ٢ علة ٢٢ سؤال ٢ (٣) بطرس لمبرد كتاب ٤
فصل ١٧

يصلون فقط لكي ينال الخطي الغفران فائلين الله الضابط الكل برحمك ويغفر جميع خطاياك الى آخره^(١) وكان يجوز الاعتراف للعامة ايضاً. وحكم البرنوس الكبير بان لهذا الاعتراف ايضاً قوة السر^(٢) ومع ان الاعتراف بالخطايا كان بحسب من الواجبات كان لكل واحد حرية ان يعترف في ضميره الى الله وحده. او شفاهاً الى القسيس ايضاً. فهكذا كانت حالة الاعتراف الى القرن الثاني عشر. ولكن في القرنين الثاني عشر والثالث عشر اختلفت الآراء وفي اول الامر كان الاختلاف في الآراء فقط. ثم بعد ذلك حكم البابا اينوسنتيوس الثالث كما ذكرنا في افتتاح هذا الباب ان كل واحد يعترف للقسيس اقل ما يكون مرة في السنة. ومن ذلك الوقت امتد الرأي ان الاعتراف هو الطريق الوحيد لنوال غفران الخطية الممينة^(٣) وان الكاهن كنائب الله يقدر ان يمنع هذا الغفران^(٤) وانه لا يقدر على ذلك الا الكاهن فقط. ومن ثم بطلت صورة الحل الابتدائية

(١) اوسايوس في اصل الغفرانات وجه ١٧ وبطرس لمبرد

كتاب ١٤ فصل ١٨ (٢) البرنوس كتاب ١ فصل ١٧

(٣) توما في خلاصة اللاهوت قسم ٢ فصل ٧٤ الى ٩٠ وقسم ٢

فصل ٦ قضية ١ (٤) توما في خلاصة اللاهوت قسم ٢ فصل ٨

قضية ١ و ٢

في القرن الثالث عشر وثب برحمك الله ويغفر لك الى آخره
وصار الكاهن يقول عوضها انا احلك الى آخره. على ان في ذلك
القرن ايضا قاوم البعض هذا التعليم كأنه ينسب الى الانسان قوة
مخصصة بالله وحده^(١) ومن المعلوم ان عادة الاعتراف للعامّة بطلت
عند ما انتشرت التعاليم التي مر ذكرها

فهيكلنا نرى ان الاعتراف على حسبها هو جارٍ الآن لم يكن
معروفا بالكلية في الكنائس الاولى. وانه قام شيئا فشيئا بالتدريج
ولم يقبل بالتام وبثبت الا بعد المسيح بالف وثلاث مئة سنة
الآن الارمن لم يفسكوا حتى ولا في ذلك العصر
بالاعتراف كما هو مستعمل الآن. لان البابا بناد يكتوس الثاني
عشر الذي عاش في القرن الرابع عشر يشكو كما تقدم الى ملك
الارمن ورئيس اساقفتهم من بعض غلطات في طائفتهم ويطلب ان
تحرم بجمع ارمي. وكان عدد تلك الغلطات حسبما ذكره هذا
البابا مئة وسبع عشرة غلطة. والغلطة الثانية والثمانون منها هي انه
متى اراد احد ان يتناول بصير من الكاهن اعتراف عمومي ثم
يراجع الشعب الاعتراف الذي يكون قد عمله ذاك. ولكن ليس
احد من الارمن الا نادرا يعترف بخطايه الى الكاهن سرا. وهم

(١) توما في صورة الحملة كذاب ٢٢ والمخلاصة لتوما قسم ٢

يزعمون ويعتقدون ان هذا الاعتراف العمومي كافٍ لفقران الخطايا. انتهى^(١) فنتج واضحاً من هذه العبارات انه ولو كان عندهم نوعٌ من الاعتراف كان ذلك يختلف بالكلية عن الاعتراف السريّ المأمور به الآن عندهم. فالعادة التجارية الآن انما صارت عمومية عندهم بعد اواسط القرن الرابع عشر. فقبلوه اذاً بعد الكنائس الأخر الشرقيّة

(١) اخبار كنائس اريناز عن سنة ١٤٢١ عدد ٤٥ الى ٤٩

الباب السابع وهو فصلان

الفصل الاول

في اصل الاستحالة

ان التعليم بان الخبز والخمر في العشاء الرباني يستعملان الى جسد المسيح ودمه الحقيقين لم يكن موجوداً عند المسيحيين الاولين. وقد ظهر هذا التعليم أولاً على الصورة التي هو عليها الان في القرن التاسع. ولكن لم يقبل عند عامة المسيحيين ولا صار تعليمًا من تعاليم الكنيسة المثبتة الى القرن الثالث عشر في ابام البابا اينوسنتيوس الثالث

وفي القرون الاولى كان العشاء الرباني يُحفظ ببساطة كلية. فان المسيحيين كانوا يحضرون الى الاجتماعات الجهرية بهدايا اختيارية. ومن تلك الهدايا كان يؤخذ مقدارٌ من الخبز والخمر يكفي للعشاء الرباني ويقدمه الاسقف بالصلاة وكان الشعب يجيب بقوله آمين^(١) ثم كانت الشماسة توزع العناصر. وبعد نهاية هذه الخدمة كانوا يقولون وليمة تُسمى وليمة المحبة

(١) الاحتجاج الثاني لابوستين الشهيد وجه ٩٨ الخ

ولم تُستعمل كلمة تدل على انهم كانوا يظنون ان الخبز والخمر
 يتحولان الى جسد المسيح ودمه . نعم ان هذه الخدمة كانوا
 قد بدأ بدعوتها ذبيحة او مقدمة كما دعاها يوسنينوس الشهيد
 وابريناوس وغيرها . ولكن عند مقابلة هذه العبارات بغيرها مما
 استعملوه في هذا الموضوع يظهر جلياً انها عبارات استعارية رمزية
 لاحرفية . لانهم كانوا يحسبون هذه الخدمة رمزاً يدل على تلك
 الذبيحة العظيمة التي قدمها المسيح عن الخطية على الصليب لا
 على انه كان يُذبح حنيفة كل مرة في العشاء الرباني كما سنبهرن
 ذلك

نعم انهم كانوا يستعملون ايضاً الفاظاً يظهر في اول الامر انها
 تدل على تغير ما في المواد . وقد استعمل مثل هذه الالفاظ
 ابريناوس وكيرلس الاورشليمي وغيرها . ولكن عند الفحص نرى
 ان هذا التغير الذي يذكرونه ليس تغيراً طبيعياً يتحول به الخبز
 والخمر بالحقيقة الى لحم ودم . بل تغيراً يشغلان به من استعمال
 دارج الى استعمال مقدس . فكانا لا يزالان خبزاً وخمراً غير
 متغيرين في طبيعتهما بل في كيفية الاستعمال فقط اذ يشغلان من
 خدمة عمومية الى خدمة خصوصية مقدسة كما تقدم

ونضع ان هذا كان رايهم اولاً من التشابه الكثيرة التي
 استعملوها في ايضاح ماهية هذا التغير . فان كيرلس^(١)

(١) تعليم مسيحي في الاسرار لكيرلس قسم ٢ وجه ٢٢٥

وايريناوس^(١) وغريغوريوس النيسي^(٢) وآخرين غيرهم يقولون انه يشبه التغير الحاصل للزيت او للمذبح او للكنيسة بواسطة الكرسي وانه كالتغير الحاصل للعامي بواسطة الرسامة وللغير المولود ثانية بواسطة الميلاد الثاني . ولم يكن احد يظن قط ان الزيت المقدس كان يتغير في طبيعته . او ان المواد التي يصنع منها المذبح لم تبقى كما كانت قبلاً من دون ادنى تغير . او ان الحجارة والاشخاب وغيرها من المواد التي تُبنى منها الكنيسة تتغير بواسطة التقدّيس تغيراً طبيعياً الا انها تتغير بتبدلها من استعمال دارج الى استعمال مقدس . وكذلك لم يحسب احد قط الاشخاص المرسومين والمتجددين بالروح القدس انهم يتغيرون بنوع من الانواع في تركيبهم الطبيعي . لانهم في هذا الامر لا يزالون كما كانوا قبلاً غير انهم اُفِرِزوا من اعمال عالمية دارجة الى اعمال روحية فقط . ومن ثمّ لا يمكن ان تتعلم منها انه يصير تغير طبيعي في مواد عشية الرب لان الاشياء التي تُشبه بها لم يُظَنّ قط انه حصل فيها تغير مثل هذا^(٣)

ثانياً ان الآباء القدماء يعلمون صريحاً بان العناصر المقدسة

(١) ايريناوس ضد الاراقة كتاب ٤ راس ٢٤ فصل ٦

(٢) غريغوريوس نيسي عن المعمودية مجلد ٤ وجه ٣٦٩

(٣) صعوبات المذهب الروماني لفاير وجه ٥٨ الى ٦٠

انما هي رموزٌ وصُورٌ وتشابيه وإشارات مجازية لجسد المسيح ودمه . ولم يكتفوا بذلك فقط بل لكي يتجنبوا كل خطرٍ من الغلط في فهمها يقولون صريحاً ان المتناولين لا يأكلون جسد المسيح الحقيقي ولا يشربون دمه الحقيقي . وبما ان هذا الموضوع مهم جداً والجميع يرغبون معرفة ما علم به آباء الكنيسة القدماء في هذا الشأن ينبغي ان نورد هنا بعض نبذة من تصانيفهم كما هي مسطرة في كتبهم فنقول

اولاً ان اكليمنضس الاسكندري في القرن الثاني يقول فيما ان المسيح يقول ان الخبز الذي اعطيكم اياه هو جسدي وبما ان الجسد يُسقى بالدم لذلك دُعي الخمر على طريق مجازي دماً . لان الكلمة (اي المسيح) يُعبر عنه مجازاً باسماء كثيرة مختلفة نظير لحم وجسد وغذاء وخبز ودم وحب . فالكتب المقدسة اذا سميت الخمر رمزاً سرياً للدم الطاهر . والمسيح بارك الخمر بقوله خذوا اشربوا هذا هو دمي الكرمة . ومن ثم يكون العصير المقدس المفرح رمزاً مجازياً للكلمة الذي سكب نفسه عن كثيرين لمغفرة الخطايا . انتهى (١)

ثانياً ان ترتوليانوس الذي اشتهر في اواخر القرن الثاني

(١) اكليمنضس الاسكندري كتاب ١ راس ٦ وجه ١٠٤

و ١٠٥ وكتاب ٢ راس ٢ وجه ١٥٦ وكتاب ٢ راس ٢

وجه ١٥٨

واوائل القرن الثالث يستعمل هذه العبارات وهي قوله ان الله في انجيله قد اوحى هكلا بهذه القضية داعياً الخبز جسده لكي تفهموا من ذلك كيف جعل الخبز رمزاً لجسده . ويقول مراراً كثيرة انه هو الخبز الذي يشير الى جسد المسيح^(١) وزد على ذلك انه يعلم بانه يجب علينا ان نصدق شهادة حواسنا اذ يقول انه لا يجب ان نشك في حواسنا لثلاثاً نشك في صدق شهادتها في ما يخص المسيح نفسه . لاننا اذا شككنا في صدق حواسنا ربما نضل الى ان نقول ان المسيح اتخذ حينما نظر الشيطان ساقطاً من السماء . او حينما سمع صوت الاب يشهد له . او اتخذ في لمس حماة بطرس التي شفاها . او في طعم الخمر الذي قدسه تذكراً لدمه . انتهى^(٢) . ولا يخفى انه اراد بهذه العبارة انه كما اننا ننظر ونذوق تلك الموضوعات ونجدها لم نزل خبزاً وخمراً يجب ان نصدق ان العناصر بقيت غير متغيرة في جوهرها وشكلها

ثالثاً ان كبريانوس الذي عاش في القرن الثالث يقول يجب ان نلاحظ انه بواسطة الخمر يشار الى دم المسيح^(٣) رابعاً ان اوريجانوس الذي عاش في القرن الثالث ايضاً

(١) ترنوليانوس ضد مرسيان كتاب ١ راس ١٤ وكتاب ٢ فصل ١٢ و ١٣ وجه ٢٠٩ (٢) ترنوليانوس عن النفس وجه ٦٥٣ (٣) رسالة كبريانوس الى سبستوس ٦٣ وجه ١٥٣ و ١٥٤

يقول ان الخبز الارضي في نفسه لا يختلف عن غيره من الاطعمة^(١)
خامساً ان اوسايوس القيصري الذي عاش في القرن
الرابع يقول عن الخبز والخمر انها رمز لجسده ودمه^(٢) وفي ايضاحه
كلام مخلصنا في الاصحاح السادس من انجيل يوحنا حيث يتكلم
المسيح على سبيل المجاز عن اكل المسيحيين جسده وشربهم دمه
يقول عن الرب كأنه له الجذ يقول لا تنتكروا اني انكلم عن الجسد
الذي انا حامله كأن هلم يجب ان يؤكل . ولا تظنوا اني اقدم لكم
دمي الطبيعي الجسدي لكي تشربوه . ولكن اعلموا ان الكلمات
نفسها التي كلمكم بها هي روح وحياة حتى ان ذات كلامي وتعلي
ها اللحم ودم . والذي يجمعها بنفسه يقات كأنه بطعام ساوي
فيكون شريكاً في الحياة السماوية^(٣)

سادساً ان كيرلس الاورشليمي الذي كان في القرن الرابع
يقول لانه تحت رمز الخبز يعطيك جسده وتحت رمز الخمر
يعطيك دمه لكي يكون لك بهذه الوساطة شركة في جسد المسيح
ودمه اذ تكون جسداً واحداً ودماً واحداً معه^(٤)
سابعاً ان غريغوريوس التريزي الذي عاش ايضاً في

(١) اوريجانوس في يوحنا فصل ١٦ وفي متى وجه ٨٩٨

(٢) الابيضاح الانجيلي كتاب ١ راس ١٠ وجه ٢٩

(٣) اللاهوت الكنسي راس ٢ فصل ١٢ (٤) تعليم مسيحي

الكيرلس قسم ٤ وجه ٢١٧

القرن الرابع يدعو العشاء الرباني رمزاً للسر العظيم ذبيحة المسيح
ورمز الذبيحة التي بواسطتها تم فداء الجنس البشري^(١)

ثامناً ان اوغسطينوس ذلك النير العظيم في القرن الرابع
يقول ان الرب لم يتأخر عن القول هذا هو جسدي عند ما اراد
ان يعطي علامة لجسده^(٢) وايضاً يدعو صورة جسده ودمه^(٣)
وفي مكان آخر يخبر عن المسيح بانه يقول لتلاميذه افهموا على معني
روحي ما قلته لكم . فانكم لستم مزعمين ان تاكلوا هلا الجسد ذاته
الذي تروثه . ولا ان تشربوا هلا الدم ذاته الذي سوف يسفكه
اولئك الذين يصلبونني . بل بالعكس قد رسمت اكرم سراً
مخصوصاً بحبيكم اذا فهم فهماً روحياً . وهلا السر مع انه يتم على نوع
منظور يجب ان يفهم على نوع غير منظور^(٤)

تاسعاً ان ثاودوريتوس الذي كان في القرن الخامس يقول
ولا الرموز العربية تقدم طبيعتها الخصوصية بعد التقدس لانها
تبقي على جوهرها وشكلها وجنسها الاول^(٥)

عاشراً ان فاكوندس احد اساقفة افريقية في القرن التاسع
يقول ليس ان الخبز هو بالحقيقة جسده ولا الخمر هو بالحقيقة

(١) خطاب ١ وجه ٢٨ (٢) ضد اديمتوس راس ١٢

(٣) تفسير المزمور الثالث (٤) اوغسطينوس في المزمور الثامن

والتسعين (٥) ثاودوريتوس مخاطبة ٢ قسم ٤ وجه ١٢٦

دمه ولكنها بتضمنان سرَّ جسدٍ ودمه فيها^(١)

حتى ان البابا جلاسيوس في القرن الخامس يقول ومع ذلك جوهر او طبيعة الخبز والخمر لا يتلاشى . وبالحقيقة ان رمز وشبه جسد المسيح ودمه بظهران في ممارسة الاسرار^(٢)

ويمكننا ان نورد عبارات كثيرة نظير هذه . ولكن مما تقدم يتضح جلياً ان الكنيسة القديمة كانت تحسب هذا السرَّ رمزياً وتذكاريّاً لا انه يوجد فيه تحوّل الى جسد المسيح ودمه الحقيقيين كما هو الاعتقاد الآن

ثالثاً وما يثبت ان الكنيسة في القرون الاولى لم تعتقد بالاستحالة هو ان اعداء الديانة المسيحية لم نعبّر المسيحيين على اعتقادهم بذلك . مع انهم كانوا يهزأون بهم لاجل عبادتهم المسيح كالهـ وبضحكون من تعليم التثليث . ولا يخفى ان هذه التعبيرات تثبت وجود هذه التعاليم . فلو كانت الاستحالة من جملة تعاليمهم المقبولة لكانوا ضحكوا عليهم بسببها ايضاً لان هذه الفضية تكون عند الوثنيين مضادة للعقل كلاهوت المسيح وثليث الاقانيم . فاذا عدم ذكر الاستحالة في كتب الاعداء هو برهان على انها لم تكن من جملة اعتقادات المسيحيين الاولين

(١) فاكوندس في محاماته عن مجمع خلقيدونية كتاب ٢

راس ٢ وجه ١٥٨ (٢) جلاسيوس في طبيعتي المسيح ضد

نسطور واونغيوس مجلد ٤ وجه ٤٢٢

ومن كان اشدّ علوّاً للديانة المسيحية بوليانوس الملك .
فهذا الملك كان قد ظهر مسيحياً في اقراره . وكان قد اعتمد وصار
عضواً للكنيسة وصار ايضاً راهباً مدةً من الزمان وفارثاً في الكنيسة
في نيكوميديا . ولكن بما انه لم يقبل الحق في قلبه ارتدّ اخيراً الى
الديانة الوثنية . فلا بد انه كان قد عرف جيداً كل تعاليم الكنيسة .
فلو كانت الاستحالة من جملتها لكان يعرفها لا محالة . الا انه في
جميع كتاباته لا يشير اليها

وهذا الملك كان حكماً عالماً وكتب كتباً كثيرة . ومن
جملتها كتاب ضد الديانة المسيحية وهو في هذا الكتاب يهزأ
بعبادة المسيح ولاهوته والحبل به بالروح القدس وولادته من
مريم العذراء . ويكون المسيح خالق العالم وابن الله وكلمة الله
ومساوياً للآب . وبالثالوث والمعدودية واشياء أخرى كثيرة .
ويضحك ايضاً على الجليليين اى المسيحيين لاجل قولهم ان المسيح
قد ذبح مرة واحدة لاجلهم وانهم لذلك لا يقدمون ذبائح . ومع
انه كان متشدداً بهذا المقدار في مضادته للديانة المسيحية ويجهد
بنوعٍ خصوصي في البحث عن كل ما يقدر ان يضحك به عليهم
فهو لا يذكر ابداً حتى ولا يشير اشارةً بصيرة الى امر الاستحالة .
فلو كان ذلك موجوداً هل كان ممكناً ان لا يذكره . أليس ذلك
برهاناً قاطعاً مقنعاً بانه في القرن الرابع عند ما كتب بوليانوس

كان هذا التعليم غير معروف بالكلية^(١)
 ان اول من علم بمحدث تغير طبيعي في هذه العناصر كان
 اوتينس الارانيكي في القرن الخامس . ومنه دخل شيئاً فشيئاً في
 الكنيسة^(٢) ولكن التعليم بقول الخبز والخمر حقاً الى ذات
 جسد المسيح ودمه كما هو الاعتقاد الان لم يوجد احد يجاري عنه
 ولا ترتب في تعاليم الكنيسة حتى القرن التاسع
 وعند ما اظهر اولاً اوتينس الارانيكي التعليم بهذا التغير
 قاومه حالاً ثاودوريتوس في كتاب يذكر فيه آراء الكنيسة
 الارثوذكسية عن لسان شخص يسمى ارثودكسوس . وارثودكسوس
 هذا الذي هو نظير نائب للكنيسة يقول ان الرموز السرية بعد
 التفديس لا تتحول عن طبيعتها لانها لا تزال باقية على جوهرها
 وصورتها وشكلها الاصلي اذ يمكن نظرها ولسمها كما قبل
 التفديس^(٣) فحسب قول ثاودوريتوس هذه آراء الكنيسة في
 عصره في هذا الموضوع

والبابا جيلسيوس اتفق مع ثاودوريتوس في مضادة تعليم
 اوتينس بقوله ان جوهر او طبيعة الخبز والخمر لا يتلاشي كما
 تقدم

(١) صعوبات المذهب الروماني لناير وجه ١٠٠ الى ١٠٢

(٢) ثاودوريتوس مجلد ٤ وجه ٨٤ (٣) ثاودوريتوس

خطاب ٢ وجه ٨٥

ولكن مع ان اتباع اوتيجوس قاومهم البابا بسلطانهم لم يزالوا متمسكين بتعليمهم المحدث. حتى انه في القرن الثاني اي السادس قام افرام الانطاكي لمناوئتهم بقوله ليس عاقل يقول ان الاشياء المحسوسة وغير المحسوسة شيء واحد. وان المنظورة وغير المنظورة لا فرق بينهما. فمكنا جسد المسيح الذي يقبله المؤمنون لا يزال جوهره المحسوس هو هو ولو كان بواسطة القدس يُقرَن بنعمة روحية^(١)

فتضح من ذلك ان هذا التعليم كان اصله من انسان ارمنيكي. وانه في القرن الخامس والسادس حُرِم على انه تعليم ارمنيكي

ثم ان الجمع السابع المسكوني الملتئم سنة ٧٥٤ في القسطنطينية حكم بان ليس صورة او رمز خفي للمسيح الا واحد وهو الخبز والخمر المقدسان في الافخارستيا^(٢) وبذلك ظهر انهم لم يكونوا يعتقدون بالاستحالة. ولكن الجمع الثاني النيقاوي سنة ٧٨٧ قاوم هذا الحكم وحكم بان الافخارستيا ليست بمجرد صورة جسد المسيح ودمه بل انها جسد المسيح ودمه اية ذاتها الحقيقية الطبيعية بمجر اللفظ^(٣) وهذا اول حكم صدر من مجمع في

(١) افرام الانطاكي ضد اوتيجوس وجه ٢٢٩ (٢) صعوبات المذهب الروماني لناير وجه ١٢٥ (٣) مجمع نيقية الثاني قضية ٦

اثبات الاستفالة . ومع ان هذا الجمع حكم باثباتها لم تكن مقبولة عند الجميع ولا تربت في ايمان الكنيسة ولا كانوا يحامون عنها بحمامة رسمية حتى القرن التاسع

والذي حامي عن هذا التعليم حينئذ بسكاسيوس ردت احد الرهبان الفرنسية . وهو مسلم من جميع مؤرخي الكنيسة ان ذاك الرجل كان ابا لهذا التعليم . والالفاظ والافكار المتعلقة بهذا الامر كانت حينئذ مختلفة وغير ثابتة مع ان مجعاً واحداً كان قد حكم به . واما الراهب المذكور فاجتهد في ايضاح وتوطيد آراء الكنيسة في كتاب كتبه في هذا الموضوع ^(١) فذهب الى انه بعد القديس لايفي الا صورة الخبز والخمر وشكلها . وان جسد المسيح الحقيقي اي لحمه ودمه هو حاضر حتى ذات جسد المسيح الذي وُلد من مريم العذراء وتألّم على الصليب وقام من القبر . ولكن حصل مضادة شديدة لتعليمه هذا من اشهر وافضل اللاهوتيين في ذلك العصر وكانوا بحسبونه تعليمًا حديثًا وذلك يبرهن انه الى ذلك الوقت لم يكن من تعاليم الكنيسة . لانه لو كان هذا الراي راي الجمهور وقتئذ لما وقع عليه مضادة ولا كان حُسب حديثًا . والملك كرلوس الاقرع اقام رجلين مشهورين بالعلم والفن وهما راترامنس ويوحنا سكوتوس لكي

(١) بسكاسيوس ردت عن جسد الرب مجلد ٩ وجه ٢٦٧

بوضوحا ابضاحا جليًا التعليم الذي كان يُظَنُّ ان ردبرت قد
افسده. فكتب كلٌّ منها كتابًا. وكان تعليم يوحنا سكوتوس ان
الخبز والخمر علامتان وإشارتان الى جسد المسيح ودمه الغائبين^(١)
وكذلك راترامنس رفض ذلك التعليم الحديث رفضًا تامًا^(٢)
ذاهبًا الى ان الخبز والخمر يدلان على جسد المسيح ودمه. وان
المتناولين يفتنون بالمسيح غذاءً روحياً بواسطة الايمان.
ورابانوس موريوس الذي يقال انه لم يكن له نظير في ذلك
العصر نظرًا الى جودة العقل واتساع المعرفة وكثرة التصانيف
التي ألّفها ولذلك ارتقى الى درجة راس اساقفة هو ايضا شجب
هنا التعليم بالفاظٍ شديدة^(٣) ذاهبًا الى ان الانفخارستيا هي
اشارة رمزية. ومن ذلك قوله اننا قد قاومنا هذا الغلط بكل
استطاعتنا^(٤) وكذلك وفرد اسنرابون^(٥) وكريستيان دروثر^(٦)
وفلاروس مجستر^(٧) وجميع علماء ذلك العصر كقبول ضد هذا
التعليم الحديث. ودروثر قاومة مناومة شديدة حتى ان
البعض ممن حاشى عن تعليم الاستحالة زعموا ان كتابه قد

(١) مقيم مجلد ٢ وجه ١٠٥ (٢) راترامنس عن جسد

المسيح ودمه (٣) رابانوس موريوس رسالة عن التوبة راس ٢٢

(٤) رسالة رابانوس الى هيريلدوس راس ٢٢ (٥) وفرد

في امور الكنيسة راس ١٦ (٦) كريستيان دروثر تفسير انجيل

متى ٢٦:٢٦ (٧) فلاروس مجستر في الفلاس راس ٤

نحرف ولكن لم يندروا ان يثبتوا زعمهم. فما تقدم نرى ان هذا التعليم مع انه كان موجوداً في ذلك الوقت وله محامون كان له ايضاً مضادون اكثر من المحامين. والاكترون رفضوه بكل جهدهم

ولكن مع انه في اول الامر حصلت عليه مضادة عظيمة انتشر بالتدرج حتى انه في القرن العاشر كان عدد الذين اعتقدوا بالاستحالة مساوياً لعدد الذين لم يعتقدوا بها مع الذين لم يكن لهم رأي بالكلية في هذا الامر لشدة جهلهم. ووجود هذا الاختلاف في هذه القضية في القرن العاشر مسلم من جميع المؤلفين العلماء. فان روثاريوس^(١) وجربرت وغيرها حاموا عن الاستحالة. واما هريجر رئيس لندس اورد عبارات كثيرة من الآباء ضدّه^(٢) على انه لم يحصل جدال خصوصي في هذا القرن على هذا الموضوع

وهذا الاختلاف في الرأي لم يزل مسموحاً به من دون قصاص الى نصف القرن الحادي عشر. ولكن في سنة ١٠٤٥ بارنجاريوس احد العلماء من اكليروس فرنسا قاوم تعليم الاستحالة جهاراً وتمسك بمذهب سكونوس وهوان الخنز والخمر

(١) روثاريوس عن جسد الرب ودمه رسالة ٦

(٢) مكتبة كنسية لفيريكيوس وجه ١٠٩

لا يفتخرون الى جسد المسيح ودمه بل هما رمز لا غير^(١) وعند ما
اشهر رايه ابتداءً الجدل فيه . وحُرِّم هذا المعلم في جميع
احدهما انعقد في رومية سنة ١٠٥٠ والآخر بعد ذلك في فرسلي .
الا انه لم يكن حاضراً ولا في احده منها . ثم في سنة ١٠٥٩ و ١٠٧٨
وسنة ١٠٧٩ انعقد ثلاثة مجامع متتابعة . فلجل خوفه من تهديدات
اعلائه وضع اسمه لقانون رفض فيه آراءه القديمة . ولكن كان
تسليمه لاعدائه ليس من الاقتناع بل من الخوف . والدليل على
ذلك انه بعد التسليم استرجع اقراره الاغصاني ونسك بآرائه
الاولى . وبسبب هذه المقاومة الجهارية له خسر كثيراً من اعباريه
عند الجمهور الا انه بقي له جملة اصدقاء حتى ان البابا
غريغوريوس السابع كان يميل الى راي بارنجاريوس اكثر من
ميله الى راي اعدائه^(٢)

وفي القرن الثاني عشر كان لم يزل اختلاف في الآراء
على قضية العشاء الرباني في المدارس وفي الكتب ايضاً . ومع ان
الاكثرين استمالوا الى رفض راي بارنجاريوس لم يكونوا بعيدين
كثيراً منه^(٣) وقبل الجمع الرابع للاتراني كان للناس حرية في ما

(١) رسالة بارنجاريوس الى انثرانك (٢) مجموع قصص
لمرتوس مجلد ٤ وجه ٩٩ الى ١٠٩ (٣) مسهم مجلد ٢ وجه

يخص اعتقادهم في طريقة وجود المسيح في هذا السر^(١)
وهكذا كانت آراء الناس في هذا الموضوع حتى حكم البابا
ابنوسنتيوس الثالث في المجمع الرابع للاتراني سنة ١٢١٥ ان
الاستحالة كما نعلم بها الآن الكنائس في المشرق يجب ان تكون
تعليم الكنيسة^(٢) ومع ان هذا التعليم كان قد انتشر باتساع كان لم
يزل كثيرون لم يتفقوا فيه . ولم يصدر حكم جمهوري يحدد ما
يجب الاعتقاد به من هذا القيل قبل المجمع المذكور . ولكن مع
وجود هذا الحكم ما زال هذا الامر موضوعا للجدال المتصل بين
اللاهوتيين ولا سيما في البحث عن كينية الاستحالة . والقضايا
الخاصة في هذا البحث توجد بتمامها في كتاب جسر الفصل
السابع والسبعين من الراس الخامس فن اراد فليراجعها هناك
فلا حاجة هنا لاطالة الشرح

فترى ما قد ذكرناه من حين ما حامي ردبرت جهاراً عن
هذا التعليم سنة ١٨٢١ في الجدال فيه نحو اربع مئة سنة . ولم يصر
من جملة التعاليم المقبولة المثبتة في الكنيسة الغربية الا بعد هذا
الجدال المستطيل . وبعد ذلك جميعه بقي كثيرون لم يقبلوه .
فلو كان تعليماً من تعاليم الكتاب المقدس او كان المسيحيون
الاولون قد تمسكوا به لما حدث مثل هذا الجدال الطويل .

(١) تستالبوس في الافخارستيا كتاب ١ وجه ١٤٦

(٢) مجمع لاتراني جلسة ٤ راس ١ في تقرير المجمع

فوجود الجدل فيه كل هذه المدة يدلُّ واضحاً على انه امرٌ مُحدث
واما الارمن فانهم لم يقبلوا هذا التعليم الا بعد هذا العصر
بست مئة سنة . والدليل على ذلك يؤخذ من الرسالة التي كتبها
البابا بناديكتوس الثاني عشر في القرن الرابع عشر المتقدم
ذكرها . ويظهر من تلك الرسالة ان البابا المذكور كان قد ارسل
مكاتب وقُصّاداً الى كاثوليكوس الارمن اي رئيس اساقفتهم لكي
يتحقق ماذا كانت آراؤهم في القضايا التي كان يظن انهم غلطانون
فيها . فاناهُ الجواب عن ذلك ولكنه في مكتوب آخر تشكى من
عدم كفاءته لاقناعه . وذلك بقوله اننا لم نتدر قبلاً ولا نقدر الآن
ان نستنج من مثل هذه الاجوبة ما هو اعتقادكم الحقيقي فيما يخص
اموراً كثيرة وكذلك من جهة اعتقاد الكنيسة التي في ارمينية
الصغرى . ثم بعد ذكره اموراً اخرى يذكر البعض من التعاليم
التي يرفضها الكاثوليكوس والارمن ومن جملتها هذا التعليم
وهو ان جسد المسيح بعد كلمات التقديس هو هو في العدد
(جسد واحد) كما وُلد من العذراء وذُبح على الصليب . ومن
ثم يظهر انه بعد تكرار المكاتب من الطرفين وارسال قصاد
مخصوصين لاجل الفحص عن آراء الارمن وجد انهم لم يقبلوا
تعليم الاستحالة في ذلك العصر اي سنة ١٢٥٠ وذلك من مضي
نحو خمس مئة سنة ^(١) . وليس لنا وسائط للتخفيف في اي وقت بعد

(١) رينلد عن سنة ١٢٥١ عدد ٢ وما يليه

ذلك انتشر هذا التعليم فيما بينهم. ولكن الامر واضح ان ذلك كان لا محالة في اواسط القرن الرابع عشر

ثم يفترن بتعليم الاستحالة افتراءنا شديداً التعليم بان المسيح الذي قدّم نفسه مرة واحدة ذبيحة دموية على الصليب يُقدّم ثانية ذبيحة غير دموية لاجل خطايا الاحياء والاموات كلما تقدست العناصر من النفس

واما هذا التعليم بان المسيح يُقدّم ذبيحة مراراً هو مضاد لكلام الله مضادة كلية لان بواس الرسول يقول صريحاً هكنا المسيح ايضاً بعد ما قدّم مرة لكي يحل خطايا كثيرين^(١) ويقول ايضاً فهذه المشيئة نحن مقدّسون بتقديم جسد يسوع المسيح مرة واحدة^(٢) وايضاً يقول فاذا ذاك كان يجب ان يتألم مراراً كثيرة منذ تأسيس العالم ولكنه الآن قد أظهر مرة عند انقضاء الدهور ليبطل الخطية بذبيحة نفسه^(٣) ففي هذا العدد الاخير يناقض الرسول صريحاً هذا الفكر بانه يُقدّم مراراً. وقال الرسول في هذه الرسالة عينا الذي ليس له اضطرار كل يوم مثل رؤساء الكهنة ان يقدم ذبائح اولاً عن خطايا نفسه ثم عن خطايا الشعب لانه فعل هذا مرة واحدة اذ قدم نفسه^(٤)

وكما ان هذا التعليم لم يعلم به الكتاب المقدس هكنا ايضاً لم يوجد في الكتيبة في القرون الاولى . نعم ان البعض من

(١) عب ٩: ٢٨ (٢) عب ١٠: ١٠ (٣) عب ٩: ٢٦ (٤) عب ٧: ٢٧

الآباء مثل كيرلس وفي الذهب يسهون العناصر ذبيحة مقدسة
رهيبه وإسراراً مخفية ونحو ذلك . ولكن كان ذلك كما قد بينّا
على سبيل المجاز ولم يقصدوا بها أنها ذبيحة حقيقية بل أنها تذكّار
فعال مؤثّر للذبيحة العظيمة التي قدمها المسيح عن الخطية فقط .
وذلك واضح من كتاباتهم . قال في الذهب ^(١) أفما نقدم كل يوم
نعم أننا نقدم ولكن على طريقة بها نذكر موت المسيح لا غيره .
ودائماً نقدم تقدمة واحدة أو بالحري نصنع ذكر تلك التقدمة
الوحيدة . انتهى . وهكذا يعلم أوغسطينوس بقوله ^(٢) أن المسيحيين
بتقدمة جسد المسيح ودمه والاشتراك بها يلبّون ذكر الذبيحة
التي صُنعت مرة واحدة . وإيضاً بقوله في العشاء الرباني أنه ذبيحة
بها الممّنى أي أنها سرّ العبد التذكاري لذبيحة المسيح ^(٣) ومن ثم
يتكلم كلاماً مستطيلاً في هذا المعنى ومن جملة ما قاله في ذلك
عبارته الحسنة الآتية . وهي إن الذبيحة الحقيقية تقوم بأن النفس
وهي مضطربة بنار المحبة السماوية تكرر ذاتها تكرّساً كاملاً لله .
وجميع الأعمال التي تصدر من النفس وهي في هذه الحالة إنما هي
بها المعنى ذبائح . وجميع المتدين لله جماعة القديسين هم الذبيحة
العمومية التي تُقدّم إلى الله بواسطة عظيم الكهنة الذي قدم

(١) عظة ١٧ في الرسالة إلى العبرانيين فصل ٢

(٢) ضد فوستوس كتاب ٢٠ راس ١٨ (٣) ضد

فوستوس كتاب ١٠٠ راس ٢١

نفسه من اجلنا حتى اذا اقتدينا به نأله نصير جسداً لهذا الراس العظيم . فلهذا هو ما تدل عليه ذبيحة المسيح في عشية الرب انه في الذبيحة نفسها تقدم الجماعة دائماً ذبيحة لله . اعني ان نار المحبة التي تصطرم في تذكّر ذبيحة المسيح المحبة في الشركة المسيحية تتضمن بالضرورة هذا الامر وهو ان الذين يتعدون بواسطة الايمان بالفادي في جماعة واحدة مقدسة وهم يفقدون به يكرسون انفسهم تكريساً كاملاً لكي يكونوا خاصة له ويبدؤوا . انتهى^(١)

فاذا حينئذ يدعو الآباء العشاء الرباني ذبيحة يجب ان نفهم كلامهم على وجه مجازي . ولا فيحصل مناقضة بين كلامهم الصريح وكلامهم المجازي وبضادون انفسهم

ولكن مع ان لفظة الذبيحة كانت في البداية مجازية صارت مع نمادي الزمان تُفهم حرفياً . حتى انه في القرن السادس كان كثيرون يحسبون العشاء الرباني ذبيحة حقيقية ذات قوة سرية للاحياء والاموات . وهذا الفكر اشتهر على الخصوص في تصانيف غريغوريوس الكبير . ولكن مع انه نسب مثل هذه القوة السرية الى ما كان بحسبه ذبيحة ذكر ايضاً انه يجب ان الانسان يكرس نفسه تكريساً كاملاً لله . كما قال اوغسطينوس في كلامه الذي ذكرناه . فيقول ونصير حقاً ذبيحة لله من اجلنا حين نقدم انفسنا ذبيحة

(١) اوغسطينوس مدينة الله كتاب ١٠ راس ٦

ثم بعد ما كان ابتداء هذا التعليم مكملاً امتدَّ شيئاً فشيئاً . ألا
انه لم يصر تعليماً مثبتاً حتى القرن السادس عشر . نعم انه كان
قد امتدَّ بانساعٍ ولكن اول من حكم بثبوتِه كان الجمع
التريدنتيني وذلك في كثير من اعماله ولاسيما في جلسته الثانية
والعشرين (راس ٢)

الفصل الثاني

في رفع القربان وعبادته

ان عادة رفع الخبز والخمر قبل المناولة اكي ينظرهما
الشعب وُجِدَتْ في اماكن كثيرة في القرن الرابع والخامس الأ
انها لم تكن بين الجميع . ثم امتدَّت هذه العادة في كنيسة الروم من
القرن السابع . واما في كنيسة اللاتينيين فمن القرن الحادي عشر .
وقبل ذلك العصر لا يوجد ذكرٌ لهذه الرفعة في الكنيسة اللاتينية .
فان المعلم بونا احد المؤلفين الكاثوليكيين المشهورين في القرن
السابع عشر يقرُّ صريحاً بأنه لا يوجد لها اثرٌ قبل ذلك العصر ^(١)
وكذلك اقرار اشهر العلماء في الكنيسة الرومانية

ومع ان هذه الرفعة قد وُجِدَتْ في ذلك العصر لم يكن
المقصود منها عبادة العناصر بل انما الدلالة على رفع المسيح على

(١) بونا كتاب ٢ راس ١٢ عدد ٢

الصليب . كما يصرّح بذلك جرمانوس اسقف القسطنطينية الذي عاش في نحو سنة ٧١٥^(١) وهكذا ايضاً يصرّح بونا العالم الروماني المذكور آنفاً . والدلائل الآتية توضح لنا انه لم يقصد بها شيء من العبادة . الدليل الاول ان المسيحيين الاولين لم يعتقدوا ان الخبز والخمر بعد ما ن طبيعتهما كما تقدم البرهان . الثاني انه ليس احد من المؤلفين القدماء يذكر هذه العبادة . فلو كانت موجودة لكان البعض منهم يذكرها لا محالة . الثالث انه في جملة الاعتراضات التي اعترض بها الوثنيون على المسيحيين كعبادة الشمس وعبادة انسان مصلوب ميت لم يعترضوا عليهم بعبادة الخبز والخمر . ولو كان هؤلاء بابّ لهذه الشكوى لكانوا لا محالة استعملوا ذلك كما يفعلون الآن مراراً كثيرة . الرابع ان الليتورجيات القديمة لا يوجد فيها صلوات او تماجيد او تسابيح للافخارستيا كما يوجد الآن في ليتورجيات الكنائس الشرقية . الخامس ان المسيحيين الاولين كانوا يعترضون على الوثنيين بانهم يعبدون اشياء خرساء عديمة الحياة يجب حملها على اكتاف الناس واذا سقطت لا تقدر على القيام ويجب ان يجرسها الناس ويحفظوا عليها من اللصوص وهي تحت اسميلاء النار والريح والصدأ والسوس والفساد وغير ذلك من العوارض وفي خطر من ان تاكلها النيران وغيرها من

(١) جرمانوس مجلد ٢ وجه ١٦٣

الحيوانات . فلو كانوا حينئذ متمسكين بعبادة الأفعارسنيا أو الصور أو الذخائر أو الصلبان لما كانوا فقط اعترضوا بهذه الاعتراضات خوفاً من أن يقع عليهم هذا اللوم بعينه^(١)

أما تقديم العبادة هكذا للعناصر فمن المعلوم أنه مقترن افتراضاً شديداً بتعليم الاستحالة . ونعلم من التاريخ أن ابتداءها كان في زمان واحد . ولم تجر العادة في عبادة العناصر المقدسة إلى القرن الثالث عشر . والكردينال وبدوا إدخالها أولاً سنة ١٢٠٢ وثبتت بأمر من البابا هنوريوس سنة ١٢١٧^(٢) ومن البابا غريغوريوس العاشر بعد ذلك بسنين قليلة^(٣) ولكن قبل القرن الثالث عشر لا يوجد أثر لهذه العبادة

ولاحاجة إلى تقديم براهين تثبت بها أن هذه العادة أي عبادة العناصر مضادة بالكلية للعهد الجديد لأننا فضلاً عن أنه لا يوجد آية واحدة تثبت نرى أن حرف العهد الجديد وروحه يرفضانه رفضاً تاماً

ثم أنه مع كوننا قد تكلمنا على هلا المذوال عن العوائد المارحة المتعلقة بهلا السر لا نستغف البتة بالعشاء السري نفسه ولا نقصد أن نخطأ شأنه . كلاً لأنه حسباً ترتب من المسيح هو من الأمور

(١) راجع بنكهام كتاب ٢٥ راس ٥ فصل ٥ و٦

(٢) فيسار هيسنريك كتاب ٩ راس ٥ (٢) أوامر

غريغوريوس كتاب ٢ قسم ٤١ راس ١٠

الأكثر اعتباراً . ويجب ان يُحفظ من كل مسيحي حقيقي على اكمل نوعٍ من التقوى والوقار . ولا يوجد علٌّ من الاعمال التي يارسها الانسان في حياته اعظم من اشتراكه في رمز جسد المسيح المكسور ودمه المسفوك . لانه مع ان الخبز والخمر لا يتحولان الى ذات جسد المسيح ودمه الحقيقيين لكن المسيح يحضر حضوراً روحياً مع كل من يشترك فيه بايمانٍ ويظهر له ذاته ويباركه . وهو من اثن بركات المسيحي ان يتذكر هكنا محبة ربه المجدد . لانه متى فعل ذلك عن ايمانٍ حيٍّ بالتواضع والشعور القلبي بعدم استحقاقه والتأمل في عظمة محبة المسيح العجيبة فان هذا السرّ فضلاً عن اصداره نغزبة له بكون له منه قوة وغذاء روحي . ولما يجب حفظه على كل تلميذٍ حقيقي للمسيح

مكتبة الميثاق الاستلزامية

الباب الثامن

في اصل المطهر

المراد بالمطهر التعليم بان انفس المؤمنين بعد الموت تنطهر من الخطية بواسطة احتمال الآلام وعلى الخصوص بواسطة نارٍ مطهريّة . ومن جهة ذلك التعليم يوجد دلائل واضحة على انه ناتج من الديانة الوثنيّة . فان كثيرين من الوثنيين كانوا يعتقدون بمثل هذه الاوهام وهو امرٌ لا يشوبه ريبٌ . والفيلسوف الوثني افلاطون كان يعلم واضحاً بان بعض الانفس من بعد ذهابها الى الهاوية مدةً من الزمان وتطهرها وحلّها بعذاباتٍ شديدة نخلص حينئذٍ لا محالة^(١) والكردينال بلارمينوس يبيّن برهاناً لاثبات هذا التطهير على اعتماد الوثنيين به^(٢) كأن ما اعتمد به الوثنيون لا بد ان يكون صادقاً . والحال انه اذا سلمنا بهذا المبدا بلزمنا جميعاً ان نصبر وثنيين . ثم ان كثيرين من الآباء مثل اوريجانوس واوغسطينوس وايرونيوس ايضاً استمالوا الفاظاً تقرب في ظاهرها من تعليم المطهر . وبما انهم كانوا متمسكين

(١) اوسايوس كتاب ٢ راس ٢٨ (٢) بلارمينوس عن

المطهر كتاب ١ راس ٢

بالفلسفة الافلاطونية ومائلين اليها ميلاً شديداً لا ريب انهم اخذوا هذا الرأي منها . لانه لا يمكن ان يكونوا قد استنجوه من الانجيل الذي لا يشير اليه في مكان . ولكن مع انهم تكلموا عن طريقة للنظير لم تكن هي طريقة المظهر كما نعلم بها الآن كنيسته رومية بل تختلف عنها اختلافاً تاماً . لانهم كانوا يظنون انه سيقى شيء من النقص حتى في افضل الناس يوم الدينونة . ولما ظنوا انه لكي يخلصوا بالكلية من هذا النقص لابد لهم من الاجتناب في النار في اليوم الاخير . حتى ان الانبياء والرسل مثل دانيال وحزقيال ويوحنا الانجيلي ومريم العذراء انفسهم لا يستثنون من هذا الحكم . وكانوا يتصورون ان هذا الامتحان بالنار يكون يوم الدينونة دفعة واحدة لانه يكون امتحاناً مديداً كما في المظهر . ولكن اوغسطينوس لا يتكلم بثقة عن هذا الامر . فانه يقول ربما لا يكون غير مصدق^(١) وان السؤال هل هو هكذا فيه نظر . وانه لا يصادفه لانه ربما يكون صادقا

ويتضح من تأليفات آباء القرون الاولى انهم لم يقبلوا هذا

التعليم

فان بوايكر بوس الذي توفي سنة ١٦٧ يتكلم عن الفياضة ولا يشير اصلاً الى المظهر^(٢) ولو كان يؤمن بهذا التعليم لكان قد

(١) كتابه في ٧ سؤالات فصل ١٢ (٢) رسالته الى فيلبس

فصل ٢٧

ذكره لا محالة

واثيناغوروس ايضاً الذي عاش في القرن الثاني ألف كتاباً في قيامة الموتى . ومع ان الموضوع كان يدعو الى الكلام عن هذا التعليم لو اعتقد به لم يذكره مطلقاً^(١)

وكذلك اغناطيوس في القرن الثاني يقول صريحاً انه يوجد حالات فقط في العالم الآتي حال الموت وحال الحياة وهما موضوعان امامنا حتى ان كل من انتقل ينتقل الى مكانه الخاص به^(٢) فلم يذكر قط مكاناً ثالثاً

واكليمنصس الاسكندري الذي توفي في اوائل القرن الثالث يقول اننا متى انتقلنا من هذه الحياة لا يوجد لنا مكان في الحياة الاخرى لكي نفترف او نتوب^(٣) فلو كان من يصدق بوجود المطهر لما امكن ان يكتب مثل هذه العبارة

وكبير يانوس في القرن الثالث يقول متى انتقلنا مرة من هنا لا يعود يوجد مكان للتوبة ولا فائدة للوفاء . بل الحياة نخسرهما هنا او نفقد هاهنا . وفي كلامه عن المؤمن يقول انه بعد الموت حالاً ينتقل الى العبطة وعدم الموت^(٤)

(١) اثيناغوروس عن قيامة الموتى وجه ١٤٢ الى ٢١٩

(٢) رسالة اغناطيوس الى مغنيسيوس فصل ٥

(٣) اكليمنصس على اكو فصل ٢٢ الى فصل ٢٧

(٤) كبير يانوس الى ديمتريوس وجه ١٩٦

فمن الواضح إذاً ان هذا التعليم في القرون الثلاثة الاولى لم يكن معروفاً حتى ان كلام اوغسطينوس وغيره في القرن الرابع لم يعلمه كما هو المعتقد الآن . ولكن مع ان هذه الافكار المتبسة لم تكن عين تعليم المطهر نرى ان الاعتقاد بان الانفس تطهر بنوع من النار بعد الموت امتدّ رويداً رويداً . حتى انه في القرن الخامس كان قد نما كثيراً^(١) وفي القرن السادس ثبتت هذه الآراء بواسطة عناية البابا غريغوريوس الكبير وصارت اكثر شيوعاً . فان البابا المذكور وصف بمبالغه العلابات التي تكابدها الانفس المتقلة . والتخفيف الذي حسب زعمه تحصل عليه بواسطة تقديم بعض ذبائح^(٢) ومن ذلك الوقت فصاعداً لم ينزل هذا التعليم بزداد قبولاً وظهوراً حتى وصل الى ما هو عليه الآن الا انه لم يثبت قاعدة من الايمان حتى مجمع فلورنسا المنعقد سنة ١٤٢٩ . ثم ان المجمع التريدينتيني ابضاً في القرن السادس عشر حكم بوجوب قبوله من الكنيسة كتعليم حقيقي . ومن ذلك الوقت صار من جملة تعاليم الكنيسة الكاثوليكية بواسطة لابراد عظيم لاكليسوسها

واما كنيسة الروم وكنيسة الارمن فان علمها لا يتفق مع

(١) مسهيم مجلد ١ وجه ٤٠٦ (٢) خطابات غريغوريوس

الكبير كتاب ٤ راس ٢٩ وكتاب ٢ راس ٢٢ وكتاب ٤

راس ٤٠ و٥٥

معتقدها . لانها ترفضان هذا التعليم بالكلام ومع ذلك تقدمان صلوات لاجل الموتى . والحال ان كل صلاة لاجل الموتى تستلزم الاعتراف بانها يمكن اصلاح حالهم بواسطة شفاعة الاحياء . وذلك مثل تعليم المطهر

واما تعليم الكتاب المقدس في هذا المعنى فيمكن حصره في كلمات قليلة . وذلك انه لا يوجد شيء في الكتب المقدسة القانونية يعرض هذا التعليم . بل بالعكس يوجد آيات كثيرة تدحضه دحضاً جازماً . ونكتفي بذكر مثل الرجل الغني ولما رزق^(١) فان الرجل الغني الممذّب في لهيب جهنم قال له ابراهيم بيننا وبينكم هوة عظيمة قد اثبتت حتى ان الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرّون ولا الذين من هناك يجنازّون البنا (اي من جهنم الى السماء) . فهنا كلام يصرّح واضحاً انه لا يُعقّق احدٌ من ذلك المكان الملوّء من العذابات الى الابد . بل مها طال زمان عذابهم ومها قدّمت الاحياء عنهم من الصلوات المحارّة لا يمكنهم ابداً ان يجنازوا تلك الهوة العظيمة الثابتة بينهم وبين السماء . وايضاً في اعمال الرسل لم يوجد شيء لا يثبت تعليم المطهر

(١) اوقافاً ١٦١٩ الى ٢١

الباب التاسع

في القلاسات لاجل الموتى

لا يوجد شيء في الكتب المقدسة يثبت هذه العادة ولا يوجد لها آثار في القرون الاولى . نعم انه جرت عادة ان تصنع عشية الرب عند قبور الشهداء وفي وقت الجنازات . ويظن قوم ان عادة تقديم القلاسات لاجل القديسين والموتى نتجت من هذا العمل . ولا ريب انه بعد ما جرت عادة صنع عشية الرب على قبور الموتى يدخل الفكر بالسهولة ان الموتى يتنفعون منفعة حقيقية من قلاسي يقدم لاجلهم

ولكن ما قدرنا ان نتوصل الى معرفة كافية عن وقت ابتداء هذه العادة ولا الاسباب التي نتجت عنها . غير انه لا ريب في ان القرون الاولى كانت خالية منها بالكلية . ويظن جماعة انها نتجت من الصلوات المقدمة لاجل الموتى . وربما كان ذلك من جملة الاسباب . الا ان الاقرب الى الصواب انها متعلقة بتعليم المطهر . وذلك انه عندما استولى الخوف من عذاباته النارية على قلوب الشعب قام البعض واظهروا لهم وسائل النجاة منها . فلما وعد الانارب المحزونون انه يمكنهم ان يخلصوا

افارهم المتقلبن بواسطة دفع مبلغ من المال لاجل تقديم القداست
عنهم قبلوا ذلك بكل رغبة. وقد اوضحنا في ما مضى ان تعليم
القدس كما هو المعتد الآن اعني ان الخبز والخمر في عشية الرب
يحولان الى جسد المسيح ودمه الحقيقية وانه كلما قدس الكاهن
العناصر يُندم المسيح ثانية ذبيحة غير دموية لم يظهر بالتمام في
الكنيسة اللاتينية الى القرن الثالث عشر. وبما ان القداست لاجل
الموتى لم يكن دخولها ممكنا قبل انتشار هذا الراي عن القدس
ينرجح ان ابتداءها كان في وقت واحد

وموربنوس العالم الكاثوليكي بعد الفحص باجتهاد وجد
صورة ارسامة كاهن كان من جملة ما تحويها اعطاء سلطان لذلك
الكاهن ان يقدس لاجل الاحياء والاموات^(١) ولكن هذه الصورة
كان تاربخها بعد المسيح بتسع مئة سنة. وكانت هي الصورة الوحيدة
الى ذلك الوقت التي تذكر فيها القداست لاجل الموتى في كنيسة
الكاثوليكين

فيظهر انه في ذلك العصر كانت هذه العادة مع كونها
جارية في بعض الاماكن لا يمكن ان تكون عمومية. والجمع
الذي ثبتها اولاً كتعليم كنسي هو الجمع التريدينى في القرن
السادس عشر. وذلك في جلسية الثانية والعشرين والخامسة

(١) الاسقف برنت عن الرسامة وجه ٢٤ يقتبس ذلك من

موربنوس

والعشرين. ومن ذلك الوقت صار نعليها قانونياً من تعاليم الكنيسة
الكاثوليكية

فترى من ذلك كله انه لا يوجد شيء في الكتب المقدسة
يعضد هذه العادة. فضلاً عن ذلك نرى ان شهادة المسيحيين
القدماء في مدة الف سنة تضادها وتدحضها

مكتبة المجمع اللاهوتي في القاهرة

الباب العاشر

في الصلاة لاجل الموتى

ان الصلاة لاجل الموتى مع ان الكتب المقدسة لا تعلم بها
ابتدأت في القرون القديمة للديانة المسيحية. وكان البعض من الآباء
يُدحون هذا الامر والبعض منهم يشجبونه ومنهم من كانوا يدحونها
نارةً ويدمونها اخرى

فان ترتوليانوس قال اننا نقدم تقدمات كل سنة من اجل
الموتى في ايام ميلادهم يريد بذلك ايام موتهم^(١) واوريجانوس
يخبرنا انه في ايامه كان المسيحيون يظنون انه امرٌ جائزٌ ومنبذٌ
ان يذكروا القديسين في صلواتهم الجهارية . وانهم يستفيدون
بواسطة ذكر افاضلهم^(٢) وكبريانوس يقول انه كان من عادتهم
في ايامه ان يقدموا قرايين وذبائح تذكراً للشهداء ويتكلم عن
الصلوات المقدمة لاجل اعضاء الكنيسة المتوفين^(٣) ويقول
كيرلس اننا نصلي لاجل آبائنا واساقفتنا الاطهار ولجل جميع

(١) ترتوليانوس في اكليل المجاهدين راس ٢ (٢) اوريجانوس
كتاب ٩ في رومية ١٢ (٣) كبريانوس رسالة ٣٧ الى
الاكليروس ورسالة ٦٦

الذين رقدوا قبلنا ظانين انه يفيد انفسهم كثيراً ان يُصلى لاجلهم^(١)
وكذلك فمذهب عند ما يتكلم عن موت الاشرار يوصي المسيحيين
بالصلاة لاجلهم

ولكن مع ان هذه الاصوات كانت تمدح هذه العادة كان
كثيرون ايضاً ضدها. فان كيرلس الذي يدحها في العبارات
السابقة من اقواله يقول في الكتاب نفسه اني اعرف كثيرين
يقولون ما هي المنفعة للنفس التي تخرج من هذا العالم بالخطايا
او بلا خطايا اذا ذكرتها في الصلاة. وكبريانوس ايضاً يشجبها
بقوله متى انتقلنا من هنا لا يوجد مكان للتوبة ولا منفعة من اعمال
الوفاء^(٢) وغريغوريوس النريزي يرفض الاعتقاد بان الموتى
يتشفون من صلاة الاحياء بقوله حينئذ باطلاً يجتهد الواحد
في تسليمة المحزونين. اما هنا (اي في هذه الحماية) فيمكن ان يجد
الناس علاجاً واما في ما بعد فلا يوجد شيء الا الوثافات والنفس
اكر يوس احد سكان ارمينية الصغرى قاوم جهاراً عادة الصلاة
لاجل الموتى بناء على انها لا تفيد شيئاً^(٣) فانه يقول لماذا نذكرون
الموتى بعد وفاتهم. اذا كانت صلوات الاحياء تنفع بالحقيقة
الذين في العالم الآخر فلا يحتاج احد الى اقتناء القوي او
التفاضل في الاعمال الصالحة. بل يكفي ان يقتني بعض

(١) تعليم مسيحي لكيرلس فصل ٥ عدد ٦ (٢) كبريانوس

الى ديتريوس فصل ١٦ (٣) ايثانوس في الارائقة فصل ٢

اصدقاء وهم يصلون لاجلوكي لا يتعذب في الحياة الآتية .
وامبروسيوس يقول ان الموت هو ميناء راحة ولا يجمل حالتنا
ارداً ما هي هنا ولكنه كما يجد كل انسان هكنا يتركه للدينونة
المزمعة^(١) وكلام امبروسيوس ايضاً يشبه هذا اذ يقول ما دمنا في
هذا العالم يمكننا ان نساعد بعضنا بعضاً اما بصلواتنا او بمشورتنا .
ولكن متى حضرنا امام عرش دينونة المسيح فلا ابوب ولا دانيال
ولا نوح يشفعون باحد . بل ينبغي لكل واحد ان يحمل حملة^(٢)
ونجياتيوس قسيس برسيلانا نحو سنة ٤٠٤ يقول ما دمنا احياء
يمكننا ان نصلي لاجل بعضنا ولكن بعد وفاتنا لا نسمع صلاة احد
عن آخر

فيظهر من ذلك ان اول من ذكر هذه الصلوات هو
ترتوليانوس وذلك في القرن الثالث . والبعض من الآباء في
القرنين الثالث والرابع اثبتوا هذه العادة مع ان غيرهم قاوموها .
وقد كانت من المباحث التي كان المعلمون في تلك الاعصار
مختلفين فيها ولا احد يسألهم عن هذا الاختلاف . ولم يُجزم بكونها
تعلماً يجب التسليم له والعمل به وجوباً من الجميع بل الذين لم
يريدوا ان يقبلوها كان يُسمع لهم برفضها
ثم ان في كلام الله لا يوجد اثبات لهذه العادة . مع ان

(١) امبروسيوس عن خبر الموت راس ٤ (٢) كتاب ٢

صلوات كثيرة من صلوات شعب الله مذكورة في الكتب المقدسة
لا يوجد بينها صلاة واحدة لاجل الموتى. وكذلك مع ان هذه
الكتب تأمر مراراً كثيرة بالصلاة وتعين البركات التي يجب ان
نطلبها لا تذكر قط الصلاة لاجل الموتى. وذلك برهان قاطع على
ان كلام الله لا يعضد هذه العادة. فلو كانت جائزة او كان الموتى
يستفيدون بالحقيقة من توسلات الاحياء لماذا لا تشير الكتب
المقدسة اليها اقل ما يكون مرة واحدة

— —

الباب الحادي عشر

في زيارة الاماكن المقدسة

هذه الزيارات هي اسفار الى اماكن اودخاخر مقدسة بارسها
الانسان على امل انه ينال بواسطتها نعمة وبركة
لا يوجد دليل على زيارة احدى الارض المقدسة في الثلاثة
القرون الاولى. وذلك انه كانت على المسيحيين في تلك الاعصار
الاضطهادات الشديدة حتى لم يمكنهم ان يزوروا تلك الاطراف
من دون خطر. ولكن لما حصلوا على الطمأنينة في ايام قسطنطين
الكبير في القرن الرابع زال هذا المانع وحينئذ صار الناس يفتخرون
هذه الزيارات ويظنون ان فيها ثواباً جزيلاً. وابتدأوا يفتكرون
انهم بواسطة زيارة فلسطين اي الارض المقدسة وقبور الشهداء
يحصلون على قداسة عظيمة وينالون الخلاص لا محالة. وعلى هذه
الحال توجهت هيلانة ام قسطنطين لزيارة اورشليم لاجل ايجاد
الصلوب الحقيقية. وجموع كثيرة من اقاليم وبلدان مختلفة في المملكة
اقتدوا بها فازدحموا على الاماكن التي تردد فيها الرب يسوع مع
رسله واجرح الآيات وتآلم^(١) وفي القرن الخامس كثرت هذه

الزيارات حتى ان البعض من المسيحيين داخلهم اوهم مضحكة من هذا القيل فلم يعودوا يكتفون بزيارة فلسطين بل كان البعض منهم يذهبون حتى الى العربية لكي ينظروا المذبة التي كان يجلس عليها ايوب الصديق ويقبلوا الارض التي ابتلعت دمه المكرم^(١) ومن القرن الخامس فصاعدًا صارت هذه الاسفار شائعة ولم تنزل هكذا الى هذه الايام كما لا يخفى .

ولكن مع ان هذه العادة كانت شائعة الى هذا الحد قاومها المشاهير من آباء الكنيسة في اثنتين الرابع والخامس لانهم كانوا يحسبونها مضرة جدًا . وكان من جملتهم غريغوريوس النيسي وفي الذهب وابرونيموس واوغسطينوس

ولنذكر بعض عبارات من رسالة كتبها غريغوريوس النيسي الى صديق له^(٢) فيها بعد ان يعلم انه يجب على كل مسيحي ان يقوم كل سيرته بحسب قاعدة الانجيل وانه اذا لم يكن لهذه العادة برهان من العهد الجديد يجب رفضها بقول انه عندما يدعو الرب المباركين الى ميراث ملكوت السموات لا يعد السفر الى اورشليم بين النضائل . وفي اعطائه التطويبات

(١) في الذهب موعظة ٥ عن التائيل فصل ١ مجلد ٢ وجه ٥٩

(٢) رسالات غريغوريوس في الزوار الى اورشليم مجلد ١

لا يحسب الغيرة في الزيارات من جملتها . فإذا لماذا تظهر هذه
الغيرة لاجل امرٍ لا يجعل الانسان سعيداً ولا يقنأ الى ملكوت
السما . ولو كان مثل هذا العمل في ذاته نافعاً لا يستلزم ذلك
فعلة من الكاملين . ولكن عند امعان النظر يظهر انه بالحقيقة
يسبب فساد النفس للذين هم مهتمون في السيرة التقوية فيلبق
بكل واحد ان يحترز من ان يقع عليه ضررٌ بسببه . ثم انه يبين
الاطار الحاصلة على النساء من هذه الزيارات وان كثيراً من
النساء يرجعن ارداً ما كنّ قبلاً . ويقول ايضاً وعلا ذلك لو
كان في الاماكن المقدسة نعمة اكثر (من باقي الاماكن) لكانت
الخطية لا تتسلط على الساكنين هناك . والحال انه قلما يوجد في
العالم نوع من الفساد الا وهو موجود هناك كالحقد والزنا والسرقة
وعبادة الاوثان والحسد والقتل . وبالحقيقة ان مثل هذه القبائح
قد صارت مستوطنة هناك حتى انه لا يوجد في مكان آخر ميل
الى القتل بدمار ما يوجد هناك حيث الناس كالوحوش الضاربة
يتعطشون الى سفك دماء الغير لاجل الارباح الدنيئة . فكيف
يمكن اذا التثبيت انه في الاماكن التي يرتكب فيها مثل هذه
المعاصي توجد نعمة زائدة

واذ كان قد افترض ان المذكور يجناز في فلسطين الى
العربة لاجل حاجة تخص الكنيسة يقول اتنا انما تكلم في هذا
الموضوع عما رأيناه باعيننا . فاننا قبلنا وصلنا الى تلك الاماكن

بدة طويلة عرفنا ان المسيح منذ زمان مديد ظهر كالاله الحقيقي فلم يزد ايماننا بهذه الواسطة ولم ينقص . لاننا كنا قد اطلعنا على سر تجسده من العذراء قبل ان وصلنا الى بيت لحم . فالمنفعة التي اكتسبناها بواسطة هذا السفر انما هي كوننا قد تعلمنا بالمقايسة ان بلادنا اقدس من البلاد الغريبة . انتهى

ثم ان كلام فم الذهب^(١) وابرونيوس^(٢) واوغسطينوس^(٣) الذي يشبه الكلام المتقدم ذكره تمكن مراجعته في تصانيفهم التي نشر اليها في الحاشية . وما ذكرناه باسهاب من كلام غريغوريوس يغنينا عن ايراد شيء من كلامهم

والذي نريد ان نذكره زيادة على ما تقدم هو انه ولو كان الناس الانقياء يجدون لذة في زيارة الاماكن المقدسة لا يوجد في الكتاب المقدس ما يثبت الراي انه يجرّد هذه الزيارة يحصل الانسان على شيء من القداسة . وما دام الحق لا يؤثر في القلب فيقدسه لا يمكن ان مجرد نظر مثل هذه الاماكن يخلص الانسان البتة . ولو صرف حياته في نفس المكان الذي شفعك المسيح فيه

(١) موعظة ١ في الرسالة الى فليمون مجلد ٦ وجه ٦٧٦
وموعظة ٣ على اهل انطاكية وجه ٤١ (٢) ابرونيوس رسالة ٤٩ الى بولينوس في اعماله مجلد ٤ فصل ٢ وجه ٢٦٣ الخ
(٣) اوغسطينوس خطاب ١ على كلام الرسل وخطاب على

القدسين

دمه ولم يشب عن خطابه ولم يسِرْ سيرة طاهرة لا بد انه مع كل
ذلك يهلك. واذا كانت قراءة واستماع حقائق الانجيل
لا تؤثر في قلبه لا يمكن تطهيره بواسطة
زيارة فلسطين واماكنها
المقدسة

الباب الثاني عشر

في توقيف الذخائر وعبادتها

لا يمكن وجود دليلٍ لهذا التوقيف والعبادة مدة الثلاثة القرون الاولى . نعم لاشك ان شدة اعتبار الناس المشهداء قد اعدت الطريق لهذه العادة . ولكن مها كانت الاسباب فانها لم تأخذ منعوها تمامًا الى القرن الرابع بعد ما اعطى الملك قسطنطين حرية للديانة المسيحية وذلك بعد سنة ٣٢٤

واما اصل هذه العادة فيجب ان نفتش عنه خارجاً عن دائرة الديانة المسيحية . لان الكتاب المقدس يرفضها بالكلية . ولكن بين القدماء من المصريين واليونانيين والرومانين كان مثل هذا التوقيف والعبادة للذخائر المقدسة شائعاً . ويظن كثيرون ان المسيحيين اخذوا هذه العادة عنهم . وعلى ذلك يكون اصلها من الوثنيين . وهذا الامر قد صرح به فيجيلنتيوس احد قسوس برسيلانا نحو سنة ٤٠٤ الذي كان يصاد عبادة الذخائر ويشجبها ويدعو العابدين لها جامعي رماد ووثنيين يعبدون عظام الموتى . ويعيرهم بكونهم قد استعاروا هذه العادة من الوثنيين^(١)

(١) رسالة ابرونيوس الى ريباريوس سنة ٤٠٤ ضد فيجيلنتيوس

واوسايوس ايضا يقول ان المسيحيين يمسكون بتوفير الشهداء
وذخائرهم متفقين في ذلك مع الوثنيين وانه يرجو ان هذا الاتفاق
يجعل الوثنيين اكثر ميلاً الى الديانة المسيحية^(١)

ولكن مع انها على ما يُظن ناتجة عن اصل ديني هكنا قد
امتدت جداً حتى في آخر القرن الرابع . فكانوا يجلبون من
فلسطين ومن اماكن اخرى مكربة بسبب قدامتها شيئاً من الغبار
او التراب فاسين اليه حامية قوية للناس من هجمات الارواح
الخبيثة . وكانت تلك الاشياء تباع في كل مكان باثمان غالية^(٢)
وكان الشعب مائلاً الى قبول هذه الخرافات حتى انه احياناً
كثيرة اتخدع بها اتخدعاً فظيماً . وكانوا يتوهمون حفر قبور
للقديسين حيث لم توجد بالخبيثة^(٣) وازداد بذلك دفتر اسماء
القديسين وصار كبيراً بوضع اسماء مزورة حتى ان اناساً من
الاصوص قد حُسبوا شهداء . وسليتيوس سويروس يذكر مثلاً
لذلك ان احد الاساقفة بنى مذبحاً وكرسه على قبر لصي فكان
الشعب يتعبدون هناك وان مرتينوس اسقف تور امر بنقض
المذبح ورفع الجثة وتهدد بالحرمان كل من يعبدها . والبعض كانوا

(١) اوسايوس في الاستعداد الانجيلي راس ١٢ فصل ١١

(٢) اوغسطينوس عن مدينة الله كتاب ٢٢ راس ٨ فصل ٦

(٣) مجمع قرطاجنة جلسة ٥ قانون ١٤ (٤) سليتيوس

سويروس في حياة القديس مرتينوس راس ٨

يدفنون عظاماً مضرّة بالدم في اماكن معتزلة وبشيعةون انهم
 أخبروا في الحلم ان جنة احد احياء الله مدفونة هناك^(١)
 واوغسطينوس ايضاً يذكر^(٢) ان مرأيتين كثيرين تحت الزبي
 الرهباني كانوا متفرقين في كل مكان حاملين تجارة قبيحة من
 الذخائر المزورة. وثاودوريوس الملك اضطر لاجل تبطل
 هذه الخرافات الشنيعة الى وضع شريعة بانه لا يجوز نقل جسم
 مدفون من مكان الى مكان ولا يقطع عضو من جسم شهيد
 ويتاجر به^(٣)

ثم ان عبادة الذخائر هذه صارت أكثر امتداداً ووقاحة
 في القرن الخامس حتى ان عظام الشهداء كان يظن انها اقوى
 العلاجات لدفع هجمات الشياطين والمصائب الاخرى وان لها
 قوة على شفاء الامراض واقامة الموتى وهزم الاعداء واعلان
 الامور المستقبلية وهلمّ جرأ^(٤) والشهداء الذين كانوا غير معروفين
 قبلاً كان يقال انهم اخبروا بانفسهم في الاحلام. وكان يظن
 ان بعضهم كانوا يعلنون اماكن قبورهم فصار العامة يحسبون كل

(١) اعمال اوغسطينوس خطاب ٢١٨ فصل ١١ مجلد ٥

وجه ٨٨٦ (٢) اعمال اوغسطينوس مجلد ٦ وجه ٢٦٤

(٣) شرائع ثاودوريوس راس ٩ فصل ١٧ (٤) برودنبوس

ترنيمه ١١ عن الاكيل وجه ١٥٠ و١٥١ وسليتيوس سوبروس

رسالة ١ وجه ٢٦٤ وفي الذهب موعظة ٦٦ لشعب انطاكية

غير مجهول غير شهيد^(١)

وهذا الشر العظيم صار اعظم وافزع في القرن السادس وصارت التزويرات والخداعات المتعلقة بالذخائر أكثر جسارة ومجاهرة . فان غريغوريوس الكبير يذكر مثلاً لذلك ان بعض الرهبان من الروم اتوا الى رومية ونبشوا ايلآ بعض اجسام كانت مدفونة بالقرب من كنيسة القديس بولس واخفوا العظام . واذ قبض عليهم وسُئلوا عن مقصدهم بذلك اقرروا انهم كانوا يريدون ان يجماعوا هذه العظام الى بلادهم كأنها عظام قديسين^(٢) ثم ان احد المزورين في بلاد فرنسا صار له شهرة عظيمة بواسطة عدل مملوه من الذخائر التي عند الفحص وُجد بينها اصول مختلفة من الاعشاب واسنان الخلد وعظام الفيران ومخالب الآداب . وكانت الذخائر تُعبد مراراً كثيرة في هذا القرن باعظم حرارة حين لم يكن يُعرف شيء عن هؤلاء القديسين الا اسماؤهم^(٣) وربما لبس احدٌ ساعد في زيادة هذه العبادة أكثر من غريغوريوس الكبير الذي ينحبر اخباراً لا يقبلها العقل عن القوة العجيبة التي لهذه الذخائر

وفي القرنين السابع والثامن زاد ايضاً عدد المكابد

(١) صليتيوس سويروس في حياة مرتينوس راس ١١

(٢) غريغوريوس الكبير كتاب ٤ رسالة ٢٠ الى قسطنطين

اوغسطوس (٣) غريغوريوس الكبير كتاب ٨ رسالة ٢٩

والتزويرات المسيبة عن هذه الذخائر ولكن لا تسعنا الفرصة ان
نزيد الشرح على ما ذكرناه

ولكن البعض من الافاضل ومن جملتهم فيجيلنتيوس رفعوا
اصواتهم ضد هذه الخرافات. غير انه لم يكن لكلامهم منفعة كثيرة.
ولا نعلم اي الامرين اعجب ان تصديق الشعب لهذه الخرافات التي
انخدعوا بها ام وقاحة الذين ظهرت منهم هذه الخلفعات السيئة
ولا يخفى على كل ذي بصيرة انه لا يوجد شيء بالكلية في
الكتاب المقدس مما يثبت هذه العادة

الباب الثالث عشر

في ايقاد الجور والشموع واستعمال المصابيح والاضواء في النهار

لا يوجد دليلٌ يثبت ان هذه العادة دخلت في الكنيسة قبل القرن الرابع . والبعض يقولون انها لم تدخل في الكنائس حتى القرن الخامس

وكانت هذه العادة مكروهة من المسيحيين الاولين بناء على انها جزء من عبادة الاوثان ولذا حسبوا ان دخولها في الديانة المسيحية غير جائز . هكذا يتكلم عنها ترنوليانوس^(١) وكذلك اثيناغوروس^(٢) فضلاً عن ان آباء الكنيسة كانوا يرفضونها هكذا نرى توارخ تلك الاعصار تشهد ايضاً انها لم تستعمل قبل العصر الذي ذكرناه .

غير ان الجور كان مستعملاً في الجنازات ولكن لا كطقس ديني بل نظير مانع للروائح الكريهة فقط . ثم في آخر القرن

(١) ترنوليانوس في اعتلاراته راس ٢٢ وفي اكليل المجاهدين

راس ١٠ (٢) اثيناغوروس في الجوائر عند المسيحيين الاولين

راس ١٢

الرابع ابتداء واستعماله في العبادة ولكن ليس في اول الامر نظير جزء من الخدمة الدينية بل انما كان لاجل اصلاح الهواء الرديء الحاصل من ازدحام الجموع^(١)

وكون الجور لم يكن جزءاً من العبادة في الثلاثة القرون الاولى ينضح من انه لا يوجد ذكرٌ للمباخر في الكتاب الملقب بالفوانين الرسولية الذي يظن البعض انه كُتب في اواخر القرن الثالث او في اوائل القرن الرابع . والبعض يظنون انه كُتب في القرن الخامس . اما فاغريوس الذي كتب تاريخاً كنسياً في القرن السادس فيذكر مباخر ذهبية وصلباناً ذهبية^(٢) وذلك يدل على ان الصليبان والمباخر دخلت في الكنيسة في وقت واحد

ثم ان لاون الاول الاسقف الروماني حكم في القرن الخامس انه يجب استعمال الجور عند الجميع . وذلك دليل على انه لم يكن شائعاً بين الجميع قبل ذلك . ثم من هذا القرن فصاعداً صار استعماله من العوائد الدينية ونحدد زمان وجوب استعمال الجور ومكانه وكيفية^(٣)

واما اصل هذه العادة فظن جماعة انها مأخوذة عن اليهود . وآخرون انها مأخوذة من الوثنيين . ولعل الحقيقة

(١) سيجل مجلد ١ وجه ٢٧ ومسيهم مجلد ١ وجه ٢٢٠

(٢) فاغريوس كتاب ٦ راس ٢١ (٣) سيجل مجلد ١ وجه ٢٧

ان العلمين كانتا كلاهما سبباً لوجوده وربما ساعدتها امورٌ اخرى على ذلك

واما استعمال المصايح في الكنيسة نهائياً فلم يكن جائزاً عند المسيحيين الاولين . وانما كانوا يستعملونها في الليل فقط لاجل الضرورة لانهم كانوا يلتزمون بالاجتماع للعبادة تحت ظلام الليل خوفاً من الاضطهاد . ولكتنتيوس الذي ظهر في القرن الرابع يخبر بوجود مثل هذه العمادة بين الوثنيين^(١) ومجمع اليريس الملتئم سنة ٣٠٥ ينهى عن ذلك في القانون الرابع والثلاثين . نعم ان ابرونيوس الذي توفي في ابتداء القرن الخامس يذكر المصايح كأنها كانت تُستعمل في النهار ايضاً ولكن لا يذكر امراً من الكنيسة او عادةً عمومية لاثبات لزومه . بل انما يقول ان هذه العمادة كانت محتملة في بعض الأماكن لارضاء بعض اناس ضعفاء دينيين من ذوي البساطة^(٢)

واما اسباب استعمال المصايح في الكنيسة نهائياً فقد اختلف العلماء فيها . فذهب قومٌ الى انه نتج من وقوع الكنيسة تحت الضيق والاضطهاد في القرون الاولى حيث كان المسيحيون يلتزمون بالاجتماع ليلاً وفي شقوق الارض ومغابرها وانه بعد ما ملكوا حرية للاجتماع نهائياً بقيت هذه العمادة في الكنيسة لكي

(١) لكتنتيوس كتاب ٦ راس ٢ (٢) ابرونيوس رسالة

نكون تذكّاراً لايام الاضطهاد ولكي لا يطلوا عادة كانت عمومية مثل هذه . والبعض يظنون ان استعمال المصابيح والشموع في احتفالات الوثنيين الدينية المدعوة اسراراً كان سبباً لدخول ذلك في الكنائس المسيحية . لان المسيحيين في القرن الثاني رتبوا اسراراً مثل هذه وسَمَّوْا بعض عوائد مستورة عن العامة كعشية الرب والمعمودية اسراراً . وادخلوا ايضاً بالتدريج نفس العوائد المستعملة في تلك الاسرار الالهية^(١) التي كان من جملتها استعمال الاضواء . وقد ذكر امثلة ذلك استحق كاسونيون الذي ظهر في القرن الثامن^(٢) وآخرون غيره ايضاً . والبعض يظنون ان ذلك مأخوذ من خدمة هيككل اليهود . وذهب آخرون الى انه بما ان عشية الرب قد ترتبت اولاً في الليل وكانت اعياد المسيحيين المعروفة بولائم الحجة تُصنَّع مساءً بقي استعمال الضوء بعد ذلك محفوظاً لاجل المشابهة النامة بينها

واما من جهة استعمال الشموع فنقد ذكر غريغوريوس التريتي في القرن الرابع ان ايقادها في وقت العباد انما كان من جملة الطقوس المستعملة عند مباشرة هذا السر . والظاهر انها كانت تستعمل في هذا القرن في الجنازات ايضاً . وربما كان سبب استعمالها انه في الثلاثة القرون الاولى كان المسيحيون

(١) مسيهم مجلد ١ وجه ١٦٢ (٢) في اخبار بارونيوس

يلتزمون لاجل الخوف من اعدائهم ان يدفنوا موتاهم ليلاً ولذلك كانوا يجناحون الى الضوء . والذي حصل لاجل الاضطراب في اول الامر صار سبباً لابقاء العادة فيما بعد مع وجود الاجازة لم بالدفن في النهار . وفي اواخر القرن الرابع يتشكى فيجيلنتيوس من ان العادة الوثنية في ايقاد الشموع امام تماثيل آلهتهم قد تحولت الى الشهداء وان الشموع كانت توقد في وسط النهار في كنائس الشهداء ^(١) واجاب ابرونيوس على ذلك بانه لا يوجد عندهم مثل هذه العادة في الكنائس الغربية الا متى اجتمعوا ليلاً فقط وذلك لاجل الاضاءة لجماهيرهم عند الاجتماع . واما في الكنائس الشرقية فلم يكن الامر كذلك لانه من دون التناث الى الشهداء كانوا يوقدون الشموع عند تلاوة الانجيل لكي يظهروا فرحهم بالبشارة التي يسمعونها من الانجيل ^(٢) وكانوا يستعملون الشموع عند ما يصنعون عشية الرب ايضاً . فيظهر مما تقدم ان الشموع كانت تستعمل في الجنائز والمعمودية وعشية الرب ولكن لم تستعمل في غيرها من العبادة الالهية في القرن الرابع الا في الكنائس الشرقية عند تلاوة الانجيل . غير انه من هذا الابتداء لا بد ان العادة كانت تمتد بسرعة الى اجزاء اخرى من العبادة ثم الى كلها . وبالاجمال نقول ان هذه العادة قد ابتدأت اولاً في

(١) ابرونيوس ضد فيجيلنتيوس فصل ٤ (٢) ابرونيوس

ضد فيجيلنتيوس راس ٢

اقرن الرابع واما انتشارها العمومي فلا ريب انه كان في القرنين
الخامس والسادس وما بعدها

ولكن مهما كان الزمان او السبب لدخول هذه العادة
لا يوجد لها سند في الكتب المقدسة ولا هي ضرورية . فتي كان
نور الشمس ساطعاً في المشرق فما هي الحاجة الى ايقاد الشموع .
نعم انها تعطي رونقاً خارجياً للمعبادة ولكن ذلك لا يأمر به الانجيل
ولا يدرجه . فان القلب المتواضع المنسحق المتخشع هو الذي يطلبه
الله لا مجد الاحتفالات الطقسية وعظمتها (١)

واذ لم يوجد اثر لاستعمال الخور او المصابيح في العبادة
نهاراً في احد اسفار العهد الجديد فذلك برهان كافٍ لكونها
غير ضرورية ولا نافعة

(١) راجع اشعيا ١٠: ١ الى ١٦

مكتبة المجمع العلمي بدمشق

الباب الرابع عشر

في الماء المقدس

لا يخفى ان استعمال الماء في الطقوس الدينية كان شائعاً عند اليهود . وكذلك بين الوثنيين من اليونانيين والرومانيين كانت التطهيرات الدينية جارية . فانهم عند دخولهم الى هياكلهم كانوا يستحمون او بالاقل ينضحون الماء على اجسادهم . وكان هذا الغسل مستعملاً على الخصوص في طقوسهم السرية

واما كنيسة المسيح ففي الخمسة القرون الاولى كان استعمال الماء المكرس والاعتقاد بان له قوة مطهرة غير معروف فيها بالكلية . وكان المسيحيون الى مدة مستطيلة يكرهون رش انفسهم بالماء قدام الهياكل لانهم يحسبون ذلك خرافة وثنية^(١) ويخبرنا ثاودوريتوس^(٢) عن فالنتينيانوس الذي صار فيما بعد ملكاً في اواخر القرن الرابع انه اذ كان مرافقاً للملك نظير قائد الى هيكل فرتونا رش عليه احد خدام الهيكل شيئاً من الماء المكرس . فاغناظ جداً من ذلك حتى اطم ذلك الخادم وقال له انني

(١) سيجل مجلد ٤ وجه ٦٤٤ (٢) تاريخ كنسي لثاودوريتوس

رجل مسيحي فلا يطهر في هذا الماء الوثني بل ينحني. واوغسطينوس الذي توفي سنة ٤٣٠ يقول عن طانوس الكيمسنة انه لا توجد عادة تشبه طقس المعمودية . فلو كان استعمال الماء المكرس موجوداً في ذلك الوقت لما كان معنى لكلام اوغسطينوس هذا لانه يشير الى امر التطهير كما تشير المعمودية الى ذلك

وبناء على ما تقدم يُظن ان هذه العادة ظهرت في ايام غريغوريوس الكبير في القرن السادس . ولكن حسب شهادة جميع المشاهير من علماء المسيحيين الذين كتبوا عن العوائد المسيحية القديمة لم تصر هذه العادة شائعة في الكنائس الغربية حتى القرن التاسع^(١) والعهد الجديد لا يذكر ابداً استعمال مثل هذا الماء من الرسل او المسيحيين الاولين

(١) سيجل مجلد ١ وجه ٦٤٤

الباب الخامس عشر

في المحرمات والاناثيات

المحرم هو المنع من انعامات الكنيسة واحتفالاتها. والاناثيات هي التلفظ باللغات مع المحرم مفرونةً باجراء التأديبات والقصاصات

انه في الثلاثة والاربعة القرون الاولى لم يكن المحرم الا منعاً من شركة الكنيسة غير مقرون بقصاص آخر. فكانوا يشهرون ان الشخص المحرم لم يعد عضواً للكنيسة وبجرمونه العشاء الرباني والاشتراك في ولائم المحبة وغير ذلك من احتفالات الديانة. وهذا هو كل ما كانوا يوقعونه على المحرم لان المحرم لم يكن قط بوجب على الشخص المحرم خسارة او قصاصاً زمنياً. والكنيسة لم تكن قادرة في القرون الاولى ان تنزل قصاصاً باحد ولا كان لها سلطان زمني البتة لانها كانت مضطهدة من الحكام. وكيف كان ممكناً للمسيحيين ان يفاصلوا قصاصات زمنية اذ كانت السلطة الزمنية في ايدي اعلاهم الذين كانوا باذلين كل جهدهم في ملاشاة الديانة المسيحية بالكلية. واما عادة اقران الاناثيات او اللعنات بالمحرمات فكانت من اختراعات القرون المناخرة.

وفى الذهب يرفض ذاك رفضاً شديداً . وقد كتب عظة كاملة في هذا المعنى ان الناس لا يجب ان يلعنوا الاحياء ولا الموتى . فيمكنهم ان يلعنوا آراءهم او اعمالهم لا اشخاصهم . وفي هذه العظة قد ذكر ستة اسباب تنهى عن عادة اللعنات . الاول ان المسيح مات من اجل جميع الناس من اجل اعدائهم ومن اجل الاشرار ومن اجل الذين ابغضوه وصلبوه . الثاني ان الكنيسة اقتداء بالمسيح تصلي من اجل جميع الناس . الثالث ان الديانة المسيحية بالبحري تلزمنا ان نبذل حياتنا لاجل الغير لان نعدمهم حياتهم . الرابع ان ذلك اخلاص حق المسيح لان اللعنات هي بالحقيقة تسليم الناس الى الهلاك وهذا السلطان يختص بالمسيح وحده . الخامس ان الرسل لم تكن لهم هذه العادة عندما كانوا يجرمون احداً فانهم كانوا يخرجون المحرومين بالشفقة والحزن كما يحدث عند ما يقطع الانسان عضواً من اعضاء جسده . السادس انها عادة منكرة^(١) والمشاهير الآخرون في ذلك العصر قد وافقوا فم الذهب في رأيه هذا^(٢)

ثم انه في القرون الاولى كانوا يستعملون الحرم كراسطة ضرورية لاجل حفظ طهارة الكنيسة . لان في الاضطهادات الهائلة التي وقعت على المسيحيين سقط كثيرون في خطايا

(١) موعظة ٧٦ في الاناثيات مجلد ١ وجه ٢٠٩

(٢) سيجل مجلد ٢ وجه ١٢٥

فضيحة حتى في عبادة الاوثان ايضا . فجميع الذين سقطوا
هكذا قُطِعُوا حالا من الكنيسة لكي يرى الجميع انه لا يطاق
فيها شيء من الخطايا الباهظة . ولكن لم يكن مقرونا بذلك شيء
من اللعنات ولا انفصالات المدنية . بل كان هؤلاء المحرومون
اذا ارادوا الرجوع الى شركة الكنيسة يُطَلَّب منهم ان يصرفوا
مدة من الزمان تحت تأديبٍ عَنِيفٍ علامة لحزنهم وتوبتهم .
الا ان كل ذلك ايضا كان اختياريا فلم يكن فيه شيء من
المشابهة للاناثما

وقد كان موجودا في اول الامر نوعان من الحرم وهما
الحرم الكبير والحرم الصغير . فالحرم الصغير كان يقوم بمنع
الناس عن الشركة في الافخارستيا وصلوات المؤمنين غير انه لم
يكن يوجب طردهم من الكنيسة بل كان يُؤذَن لهم ان يقولوا
لكي يسمعو التسابيح وقراءة الكتب المقدسة ومواظب وصلوات
الموعوظين^(١) . واما الحرم الكبير فكان بوجوب الطرد التام من
الكنيسة ومن كل شركة معها في الاشياء المقدسة وهما الحرم
الكبير هو الذي في القرون المتأخرة تولدت منه الاناثمات
وصارت مفاعلة هائلة جدا بسبب اقتنائها بافطع اللعنات
والدعوى بانها تمنع من السعادة الابدية وبسبب مساعدة الحكام

(١) بنكهام كتاب ١٦ واس ٢ فصل ٧ و٨

(١) في اجرائه

ولكن هذه اللعنات لم يبتدئ استعمالها قبل القرن الخامس حتى ولا في ذلك الوقت كان يفتن بها شي من الفصاحات او سلب الحقوق . فان سيناسيوس اسقف بطلميس حرم اندرونيكوس بعبارة افسى من جميع العبارات المستعملة قبله (٢) ولكن فساوتها كانت تقوم بهذا انه فضلاً عن قطعه اياه من شركة الكنيسة امر باجتنابه كخصي مأوف . ولم يكن الحرم مقروناً بلعنات ولكن لا ريب ان عباراته كانت سبباً لدخول اللعنات التي استعملت في السنين الذابعة (٣) . الا ان هذه العادة لم تزد كثيراً في ذلك العصر بل دخلت بالتدريج حتى انه بعد ان صارت الديانة المسيحية ديانة الملكة لم يكن قصاص زمني يفتن بالحرم الى عدة قرون . واول ذكر نجده في الاعمال الكنسية لحصول قصاص زمني من الاناثيات كان في القرن التاسع . فانه حسب قوانين مجمع بافيا سنة ٨٥٠ لم تكن تُقبل شهادة المحرم ولا وصيته الاخيرة ولم يكن املاً لشيء من الوظائف ولا للخدمة كجندي . وبعد هذا المجمع جرت العادة شيئاً فشيئاً بمحصر الحرم الصغير في خسارة انعامات الكنيسة . واما الحرم الكبير الذي

(١) سيجل مجلد ٢ وجه ١٢٥ (٢) اطلب صورة هذا الحرم

في بنكهام كتاب ١٦ راس ٢ فصل ٨ (٣) سيجل مجلد ٢

كان قد صار حينئذٍ انائباً فكان مجرم الانسان المحقوق
والانعامات المدنية . وكانوا يدعون ان المحروم مجرم الخلاص
الابدي بواسطته^(١)

ثم ان الصور المعينة المستعملة في هذه الانائيات بعد القرن
التاسع التي حسب راي كثيرين من العلماء الذين كتبوا في هذا
الموضوع قد أخذت من الوثنيين^(٢) كانت من افطع نوع .
فانه حسب تلك الصور كان المحرومون ملاعين في المدينة وفي
الحقل وفي مخازنهم وفي جيشهم وكانت اثمار اجسادهم واثمار حقولهم
تلعن . وكانوا ملاعين في دخولهم وخروجهم سواء كانوا في بيوتهم
ام خارج بيوتهم . وبالاجمال كانت تجمع عليهم جميع اللعنات
التي نطق بها الله على فم موسى ضد شعب اسرائيل اذ خالف
شريعته وكان يحكم عليهم بالدفن كالحديد وان يحسبوا كالمزابل
على الارض ولم جراً

ولاريب ان هذه اللعنات هي مضادة بالكلية لروح الانجيل .
فان العهد الجديد ينطق بالسلام والمحبة لا باللعنات . ومن جملة
اقواله احبوا اعداءكم باركوا لاعينكم احسنوا الى مبغضكم وصلوا
لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم^(٣) وعند ما طلب من المسيح
مرة اثنان من تلاميذه قائلين يا رب اتريد ان نقول ان تنزل

(١) سجيل مجلد ٢ وجه ١٢٦ (٢) سجيل مجلد ٢ وجه ١٢٦

(٣) مت ٥: ٤٤

نار من السماء فتفنيهم (اي الذين لم يقبلوه) الفت وانتهرها
وقال لستما تعلمان من اي روح انتما . لان ابن الانسان لم يات
ليهلك انفس الناس بل ليخلص^(١)

نعم انه يوجد آيتان او ثلاث آيات في العهد الجديد يستند
عليها المحامون عن الاناثيات وهي قول الرسول ان يسلم مثل هذا
للشيطان هلاك الجسد لكي تخلص الروح في يوم ربنا يسوع^(٢)
ومثل ذلك قوله في اتي ٢٠:١ وقوله ان كان احد لا يحب الرب
يسوع المسيح فليكن اناثيا ماران اثا^(٣) ولكن قول الرسول هذا
الاخير لا يثبت جواز اجراء لعنات زمنية او ابدية على احد.
والدليل على ذلك هو ان الآيات المستند عليها في ما تقدم تنفي
هذه العادة باجلى بيان . واذ كان من المحال ان جزءا من
الكتاب المقدس يصاد جزءا آخر يجب ان نفسر هذه الآيات
الاخيرة العويصة على طريقة تجعلها تنفق مع الاولى التي هي واضحة
واما قول الرسول ان يسلم مثل هذا للشيطان فرأي
الاكثرين انه يدل فقط على ان المحرم قد أفرز من شعب الله
الذين اتحد معهم بالمعمودية وارتد الى حاله القديمة كرجل وثني
خاضع لسلطان الشيطان . يعني انه ليس باقيا في حضن الكنيسة

(١) لوقا ٤٥:٩ الى ٥٦ (٢) اكو ٥:٥ (٣) اكو ١٦:١

الحقيقية حيث يملك المسيح بل قد اشتهر انه يختص بالعالم حيث يملك الشيطان بنوع خصوصي . وذهب البعض الى ان الرسول قد امر بافراز الجرم وحينئذ يسلمه بسلطان الرسول الى الشيطان لكي يعذبه بمصيبة جسدية كما أُعطيت للشيطان قوة على جسد ايوب الصديق ليعذبه^(١) فغاية كل ذلك هي اكي يتوب الجرم فيخلص . وموجب هذا الرأي يكون الرسول في حالة مخصوصة قد استعمل القوة العجائية وذلك بنية اصلاح الشخص وخلاص نفسه . ولكن الآن ليس لاحد مثل هذه القوة لعل العجائب . واما اللعنات والاناثيمات المستعملة الآن فغايتها ان تنزل على الجرم الغضب الابدي وتنفى كل رجاء للخلاص

واما هاتان اللفظتان وما اناثيا وماران انا فالاولى منهما كلمة يونانية ومعناها شخص او شيء لا يخرج من نعمة الله ومفرز للهلاك . والثانية مأخوذة من السرياني الكللاني ومعناها الرب آت . ومضمون الجملة ان كل من لا يحب المسيح قد أفرز للهلاك او انه مستحق للهلاك وان الرب قريب وهو عاجلاً يجري هذا الحكم . وهكذا الرسول مع انه يحكم على مثل هذا الشخص انه مجرمٌ جداً وغير اهل ان يكون عضواً في الكنيسة بتركه في يدي الرب الذي يحكم عليه بنفسه . وعدا ذلك يقول الرسول لانه ماذا لي ان ادين الذين من خارج^(٢) اي الذين ليسوا مسيحيين

والذين يختص بهم الحرم. اراد بذلك انه ليس من علمه ان يدينهم بل من عمل الله كما يتضح من قوله اما الذين من خارج فאלله يدينهم^(١) فاذا مع انه مرة بامر الرب استعمل القوة العجائية ضد المحرومين يقول صريحاً ان هذا السلطان خاص بالله فانه لا يمكن ان يستعمله الا متى اوحى اليه بذلك

وما قيل في اكو:٥:٤ يظهر ايضاً ان الحرم ليس هو عمل الاكليروس وحدهم او عمل انسان واحد كالاسقف مثلاً ولكن هو عمل كل الكنيسة اذ يقول اذ انتم وروحي مجتمعون مع قوة ربنا يسوع المسيح ان يسلم مثل هذا الشيطان . اي انه يجب ان يصدر الحكم من كل جمهور الكنيسة . هذه كانت عادة المسيحيين الاولين كما نخبرنا التاريخ^(٢) ولكن بالتدرج مع ازدياد قوة الاكليروس كانوا يدعون بان سلطان الحرم لهم وحدهم . وانما لم تمنع العامة من الاشتراك في ذلك الا الى القرن السادس . وقد خرج الامر بهذا المنع من مجمع رومية في ايام البابا سيماخوس سنة ٥٠٢^(٣)

وفي القرون الاولى لم يُنطق بمجرم بسبب غاية نفسانية او مرام شخصي . ولكن بموجب القانون الثلاثين من مجمع قرطاجنة سنة ٤١٢ كان يُعطى فرصة للشخص الذي يستوجب الحرم لكي

(١) اكو:٥:١٣ (٢) سيجل مجلد ٢ وجه ١٣٤

(٣) كتاب المجمع لهرديون مجلد ٢ وجه ٩٧٨

بجاني عن نفسه ولم يكن يجوز افرازه ان لم يثبت ذنبه على ايدي
 شهود بوثق بهم. قال اوريجانوس^(١) لا تقدر ان تخرج احدا من
 الكنيسة ما لم يثبت انه مجرم. ولكن بعد القرن الخامس كانوا مرارا
 كثيرة يستعملون سلطان الحرم بغير عدل ولاجل اسباب غير
 كافية بالكلية. وعوض ان يكون عملا روحيا يقصد به حفظ
 طهارة الكنيسة فقط صار سلاحا عالميا يستعمل لاغراض انسانية
 كما يتضح من التشكيكات القوية التي صدرت ضد هذه العادة
 الخبيثة. ووصل اصحاب هذا السلطان الى هذا الحد من الجسارة
 والوفاحة حتى التزم الملك كرلوس الاقرع في القرن التاسع ان
 يدفع تلك الشرور باوامر مخصوصة ومن جملتها انه لا يؤذن
 لاحد الاساقفة ان يجرم احدا من الشركة الكنسية ما لم يتحقق
 ذنبه تحقيقا واضحا

(١) خطاب اوريجانوس في بشوع

مكتبة المجمع الاسلامي

الباب السادس عشر

في عدم زواج الاكبيروس

سوف نبيّن في آخر هذا الباب ان هذه العادة لا يوجد لها برهان في الكتاب المقدس . ولقائلي يقول فكيف جرت هذه العادة فحيب انها دخلت بالتدريج ولها جملة اسباب منها ما يأتي ان كثيرين داخلهم اوهام قوية من جهة عظم فضيلة البتولية بوجه العموم . فكان كثيرون يحسبونها اطهر واقدس من الزواج^(١) ومن ثمّ كثيرون من الرجال والنساء الزموا انفسهم بحفظها^(٢) والبعض من المتزوجين ايضاً بالغوا في ذلك حتى كان يتفق الزوج والزوجة على عيشة العزوبة اذ كانوا بعدونها زواج النفوس من دون زواج الاجساد^(٣) وكثيرون من آباء الكنيسة كابرونيموس واوغسطينوس اذ كانوا يمدحون العيشة العزوية ساعدوا كثيراً في ادخال هذه العادة . وبعد ما دخلت وامتدت هذه الاوهام عن عظم قساسة العيشة المنفردة

(١) كبريانوس في البتولية واوسابيوس في تثبيت الانجيل
كتاب ١ راس ٨ (٢) كبريانوس كما تقدم (٣) معهم عن
الامور المسيحية وجه ٥٩٩

فبالعبية دخل ايضاً الظن بكون الاكليروس ملتزمين بها بنوعٍ خصوصي . ولكن مع ان كثيرين تمسكوا بهذا التعليم قد خالفهم في ذلك البعض من المشاهير . فان اكليمنضس الاسكندري كتب في هذا الموضوع ما يطابق العقل وروح الكتب المقدسة^(١) وفي الذهب بقاوم صريحاً الزعم بان الاكليروس ملتزمون على نوعٍ خصوصي بحفظ البتولية^(٢) ومجمع انكورا المنعقد سنة ٢٥٨ في القانون الرابع عشر ومجمع ايلبيريس المنعقد سنة ٢٠٥ في القانون الثالث والثلاثين بحكم ان الاكليروس لا يُمتنعون عن الزواج اذ ينولان انه قد حُكم حكماً قاطعاً بان الاساقفة والقسوس والشمامسة وجميع الاكليروسيين المتزامين للخدمة الكنسية لا يؤذن لهم في الاعتزال عن سائرهم وعن ولادة البنين . وكل من فعل كذلك (اي كل اكليريكي يعتزل عن واجبات الزواج) يُقطع من وظيفته . ومجمع كدرا المنعقد سنة ٢٢٤ رسم قانوناً فحواه ان كل من ابي المحضور في الخدمة الدينية التي يباشرها كاهن متزوج بفرز من شركة الكنيسة^(٣) والقوانين الرسولية يُظن انها جُمِعت في القرن الثالث والقرن الرابع . فالقانون الخامس منها يقول ان الاسقف

(١) اكليمنضس الاسكندري خطاب ٧ وجه ٨٧٤ م

(٢) فم الذهب موعظة ١٩ في اكو ١٠: ٧ (٣) نياندر مجلد ٤

او القسيس او الشماس لا يجب ان يطلق زوجته بداعي التقوى
 واذا طلقها يجب ان يُحْرَمَ واذا اصرَّ فليُلْعَنَ
 وايضاً العيشة الرهبانية التي يمارسها الرهبان والراهبات
 كانت من جملة الاسباب القوية لادخال هذه العادة . لانهم اذ
 كانوا يُعْتَبَرُونَ كأنهم أكثر قداسة بسبب عيشتهم الانفرادية كان
 الاكليروس المتزوجون يُحْسَبُونَ اقل قداسة . وامتداد سلطان
 الاكليروس الروماني ساعد مساعدة قوية في ترقية هذه الطريقة
 الى اعلى درجاتها^(١)

فمن هذه الاسباب وما شاكلها نجت بالدرج بتولية
 الاكليروس اولاً من جرى التوهم بأنها تأول الى نمو التقوى .
 ثانياً بسبب مخالفة آباء الكنيسة في مدحها . ثالثاً لانهم كانوا
 يحسبونهم من الواجبات الادينية المأمور بها من الجامع . واخيراً
 تثبتت بسلطان البابا هلدبراند في القرن الحادي عشر

ومع انهم كانوا يعتبرون التولية جداً كانت في اول الامر
 مندوكة بالكلية لارادة كل انسان . وكانت مأذوناً بالزواج
 الاكليروس من اعلام الى ادناهم مدة اربع مئة سنة^(٢) واول
 استدعاء بالحكم على الاكليروس بالتولية كان في مجمع نيقيية الملتئم

(١) سجل مجلد ٢ وجه ١٥ (٢) ثبت في ادخال منع
 الزواج غصباً مجلد ١ وجه ٦٩ (وهذا مؤلف كاثوليكي) وتاريخ
 كنسي لمسيهم مجلد ١ وجه ٢٠٢

في سنة ٢٢٥ ولكن قاوم ذلك بغير عظمة بنفوتوس الجليل الذي مع انه عاش كل ايامه بالعزبة وصف ببلاغة عظيمة الإخطار والأضرار التي تحصل منها للكنيسة. فرفض الجمع ذلك الاستدعاء كما يشهد مؤرخا الكنيسة سكراتيس^(١) وسوزومينوس^(٢) اللذان كتبنا بعد ذلك بدة غير طويلة

ان اول من وضع شريعة لوجوب العزوبة هو سيريسيوس اسقف رومية . وذلك سنة ٢٨٥^(٣) ثم بعد مدة حكم بذلك جملة مجامع انعقدت في الغرب . الا انها لم تصر عامة حينئذ . وكانوا يخالفون هذا الحكم كثيرا والروساء يعاملونهم بكل اطفاف . فاحتاج الامر الى اعادة شريعة البتولية مرارا كثيرة^(٤) وكل ذلك يدل على شدة صعوبة ادخال عادة مثل هذه مغايرة للطبيعة ومضادة لنص الكتب الالهية

واما الكنيسة الشرقية فرفضت شريعة البتولية هذه . ومع انه كان فيها بعض اساقفة غير متزوجين كان مأذونا لم بالزواج^(٥) وقد وجد في القرن الرابع والقرن الخامس اساقفة

-
- (١) تاريخ كنسي لسكراتيس كتاب ١ راس ١١ (٢) تاريخ كنسي لسوزومينوس كتاب ١ راس ٢٢ (٣) رسالة الى هيباريوس راس ٧ و ١٢ (٤) مجمع طورين كتاب ١ قانون ٢ (٥) متن جسر راس ٤ فصل ٩٥

كثيرون متزوجون^(١) فان سيناسيوس اسقف بطليموس كان متزوجاً^(٢) وابو غريغوريوس النريزي كان كهناً. وجميع غنكرا في اناطوليا المدعو الآن كيانكاري يقول في قانونه الرابع انه اذا كان احد لا يريد ان يقبل الاسرار من كاهن متزوج فليجزم^(٣)

وهذا المجمع الاقليمي انعقد بين سنة ٢٦٢ وسنة ٢٧٠

وفي سنة ٦٩٢ انعقد مجمع في القسطنطينية وحضر فيه بطاركة الشرق واكثر من مئتي اسقف من الكنائس الشرقية. وفي قانونهم الثالث عشر يأذنون للكهنة بالزواج بخلاف العادة التجارية في ذلك الوقت في كنائس كثيرة غربية. الا انهم في القانون الثاني عشر منعوا الاساقفة عن البقاء في حالة الزواج. وهذه هي اول شريعة كسبية نهت الاساقفة دون بقية الاكليركيين عن الزواج. وبما ان هذا المجمع كان مقبولا في الشرق تكون عادة امتناع الاساقفة عن الزواج مع اباحتهم للكهنة يتبدى تاريخها من ذلك الوقت اي بعد المسيح بسبع مئة سنة. وهم في القانون الثالث ينهاون الاكليروس عن اعادة الزواج وعن الزواج بارملة. والظاهر ان هذا هو المجمع الاول الذي منع الكهنة من الزواج

(١) كلاكنوس في زواج الاكليروس وجه ٢٥٨

(٢) افاغريوس مجلد ١ وجه ١٥ (٣) تاريخ كسي لسفراط

مجلد ٢ وجه ٤٢ وسوزومينوس مجلد ٤ وجه ٢٤

ثانية. وسنة ٨١١ اجاز احد الجامع في احد قوانينه زواج الكهنة^(١) ولكن مع وجود قوانين كثيرة في ما يخص منع الاكليروس عن الزواج كانت تُخالف هذه القوانين مراراً كثيرة كما سبق . وكثيرون حاولوا عن زواج الاكليروس جهاراً ولا سبياً في ميلان حيث كان ذلك دارجاً^(٢) ولم تثبت العادة الى سنة ١٠٧٤ وذلك بأمر من البابا غريغوريوس السابع الذي حكم انه من ذلك الوقت فصاعداً لا يتزوج احد من الكهنة وان الذين لم زوجات فليتركوهن او يتركوا وظيفتهم^(٣) ولكن الى ذلك الزمان لم يخضع الناس لهذا الحكم الا بعد الجهد الكلي من قبل البابا . فانه اولاً اظهر الغيظ على الاكليروس المتزوجين الذين لم بطيعوا الاوامر السالفة بالنهاي عن الزواج . الا ان عنايته هذه هيئت حركات قوية في كل مكان فنهض كثيرون لمقاومته . وانعقد مجمعان في ارفورث ومنتزلاجل اجراء الحكم بمنع زواج الاكليروس غير انها انتهيا بالشغب^(٤) كما حصل ايضاً في مجمع انعقد في باريس . وكذلك في انكلترا واطالها وهولاندا حصل ايضاً مثل هذه الحركات . ولكن اذ كان البابا عازماً على اتمام منصفه ارسل

(١) نياندر مجلد ٤ وجه ٢٢٩ (٢) جسر قسم ٢ راس افصل ٣٠

وجه ١١٢ او ١١٤ (٣) جسر قسم ٢ راس افصل ٤٧ وجه ١٦٠

(٤) لمبرتوس في امور جرمانيا عن سنة ١٠٧٤ وجه ٢٧٨

قَصَادًا متفادين بسلطانٍ نام لكي بفاصلوا الذين بمخالفون هذه الشريعة في اي مكانٍ وجدوا ويهييول الشعب على الاكلبروس المتزوجين^(١) وبهذه الوسائل الصارمة ننج في اتيادهم في ظاهر الامر الى اطاعة حكمه . وهذا الاضطهاد لادخال امرٍ بضاد الكتب المقدسة يدل واضحًا على عدم جواز ذلك الامر

ولاشك انه في اول الامر كان المنصود بعدم زواج الاكلبروس نمو القنوى لانهم كانوا يظنون ان البتولية تساعد كثيرًا على الطهارة والفطنة. الا انهم وجدوا عاجلاً انها متى كانت اضطرارية تكون مصدرًا ينبع منه شرورٌ كثيرة. حتى انه سنة ٢٢٥ حكم المجمع العظيم المنعقد في نيقية انه لا يجوز لاحدٍ من جميع الاساقفة او الفسوس او الشمامسة ان يحفظ في بيته امرأة تحت اسم ام او اخت. وهذا الحكم يشير الى العادة الموجودة عند كثيرين من الاكلبروس في تلك الازمنة ان يقبلوا في بيوتهم بعضًا من النساء اللواتي كن قد نذرن العفة الدائمة مع انهم كانوا يقرّون انهم لم يكونوا يضاجعون هؤلاء النساء البتة^(٢) وكثيرون من الآباء مثل كبريانوس وايفانيوس وبوسنيوس الشهيد كانوا بضادون هذه العادة مضادة شديدة

ومجمع اكس اشابل المنعقد سنة ٨٢٦ بتشكى من الفسوس

(١) تاريخ مسيحي كتاب ٢ جز ٢ راس ٢ وجه ١٩٢ و ١٩٤

(٢) تاريخ قديم لمورانوريوس

والشماسة بأنهم كانوا يحفظون نساء في بيوتهم وبذلك يوجبون عاراً عظيماً على جماعة الأكليروس. وكان ذلك مع اجتهاد الجامع والملوك في ابطال تلك العادة السيئة^(١) ويقول أيضاً عن اديرة الراهبات انها في بعض الاماكن كانت بيوتاً للفواحش والفساد لا اديرة^(٢) ومجمع ما ينس المنعقد سنة ٨٨٨ حكم بأنه لا يجب ان احثاً من القسوس يأذن لامرأة ان تسكن معه في بيته وذلك لكي ينقطع سبب الفضائح الرديئة والاعمال القبيحة^(٣) ويمكننا ان نورد امثلة كثيرة من هذا القبيل إلا اننا نتجنب التطويل في موضوع مثل هذا

واما تعليم العهد الجديد في هذا الباب فواضح جداً. فان جميع الشرائع التي توجب طمس الزواج على الأكليروس تضاده مضادة كلية. قال بولس الرسول فيجب ان يكون الاسقف بلا لوم بعل امرأة واحدة^(٤) وقال في مكان آخر ان كان بلا لوم بعل امرأة واحدة^(٥) ويظهر من الرسالة الاولى الى اهل كورنثوس^(٦) ان بطرس ورسلاً آخرين كانوا متزوجين.

(١) تاريخ الجامع لمردين مجلد ٤ وجه ١٣٩٧ عدد ٧ و٨

(٢) ما تقدم وجه ١٣٩٨ عدد ١٢ (٣) ما تقدم مجلد ٦

وجه ٤٠٦ عدد ١ : (٤) اتي ٤ : ٢ (٥) تي ١ : ٦

(٦) ص ٩ : ٥

وبواس ادعى ان له ولبرنابا ابناً حتماً ان يتزوجا ويأخذ امرأته
 معه في جميع اسفاره مع انه لم يعمل ذلك . فباليت شعري كيف
 امكن مع وجود هذه النصوص الصريحة الواضحة ان يُحكَمَ على
 الأكلدوس بعدم الزواج ويُلزموا بذلك

الباب السابع عشر

في الرهبة

ان الرهبة قد نشأت من التوهم بان الانفراد عن معاشره الناس واستعمال التفشفات والتأملات الدينية هي ذات استحقاق عظيم . ولكن لا يوجد سندٌ لهذا الوهم في الكتب المقدسة لان مثال المسيح ومثال رسوله يصادفونه باستقامة . فانهم لم يعتزلوا عن الاختلاط بالناس لكي يعيشوا بالانفراد . بل انما كانوا دائماً مختلطين بالعالم يعلمون الجميع ويجهدون في ترجيعهم من خطاياهم الى الفلاسة . والرهبة تغلط بالكلية في ما يخص كيفية الفلاسة فانها لا تقوم بالتأمل في حقائق الديانة في خلوة . لكن بالامتناع عن كل خطية ونعيم واجباننا في جميع احوال هذه الحياة بامانة وغيره . ونحن نقول بكل جراءة انه لا يوجد في جميع الكتاب المقدس مثالاً للرهبة ولا يوجد امرٌ من اوامره يلزم بها . بل بالعكس فان روح الكتاب وفحواه يصاد كل دعوى بالفلاسة مبنية على العيشة المنفردة المقرونة بالتفشفات . انظر الى التوبيخات الصارمة التي ونح بها مخلصنا الفريسيين الذين كانوا يميلون طبعاً الى الافتخار بفلسفة سامية بواسطة تفشفاتهم

ولكن مع ان الكتاب المقدس لا يمدح العيشة الانفرادية
 قد ظهر المول الشديد اليها في الكنيسة في آخر القرن الثاني وفي
 اول القرن الثالث . غير انه حصلت مقاومة لذلك من بعض
 اناس كالمؤلف الملقب راعي هرمس واكليمندس الاسكندري
 الذي توفي سنة ٢٢٠ وهو يقول في مقاومته لهذه التفششات انه
 كان يوجد اناس متشبهون بصراثة بين الهندو اي السمانيين .
 ومن هنا اخذ دليلاً على ان العوائد التي توجد ايضاً في
 الاديان الأخر وتكون مقرونة بالخرافات لا يمكن ان تكون من
 خاصيات الديانة المسيحية . فان انواعاً كثيرة من عبادات
 الوثنيين تأمر كنهها بالتبولة والامتناع عن اكل اللحم . وهو يقول
 ايضاً ان بولس الرسول يقول ان ملكوت الله لا يقوم بالاكل
 والشرب . فلا يقوم اذا بالامتناع عن الخمر واللحم ولكن بالبر
 والسلامة والفرح بالروح القدس . وكما ان التواضع يظهر
 لا بمقاصد الجسد بل بلطافة الاخلاق كذلك الفناعة هي فضيلة
 في النفس تقوم لا بما هو خارج الانسان بل بما هو داخله . والفناعة
 لا تنجيه الى شيء واحد فقط كاللذة بل من خصائص الفناعة ايضاً
 ان نحقر المال ونضبط اللسان وننهر الخطية ونسلاط عليها
 بواسطة العقل^(١) وقد كتب ايضاً رسالة مخصوصة لاجل تقوم

(١) خطب اكليمندس كتاب ٢ وج ٤٦٦

راي الذين كانوا يحسبون رفض جميع الخيرات الدنيوية كما لا
 مسيحياً حقيقياً ولنبيها ماذا يجب ان تكون اوصاف الانسان
 الغني لكي يقدر ان يخلص . وفي الفصل الحادي عشر منها يقول
 ان المخلص لا يأمر كما يزعم كثيرون ان نطرح خيراتنا الدنيوية
 بل ان ننفي عنا محبة المال والانشغاف به الذي هو مرض
 النفس وان نلني عنا الاهتمامات واشواك الحياة العالمية التي
 تخنق زرع الحياة الروحية . ثم يقول ايضاً ان خاصة تعاليم المسيح
 التي تميزها عن سائر التعاليم لا تقوم بكونه يأمر باعمال خارجية
 بل بامور افضل واكمل واكثر مطابقة للامور الالهية . تقطع
 الاصل والغصن جميعاً وتخرج من النفس كل ما هو اجنبي .
 ويقول ايضاً ان الذين طرحوا خيراتهم الدنيوية عنهم كانوا
 ملوثين عجباً وتكبراً واحتقاراً للآخرين . فان الانسان قد يطرح
 املاكه الدنيوية ومع ذلك يبقى في قلبه اشتهاؤها . فاي شيء
 يبني لكي يعطي الواحد الآخر اذا طرح كل شيء . فلو كان هذا
 هو تعليم ربنا كيف يمكن ان لا يختلف عن تعاليم آخر عجيبة قد
 علم بها

ولكن مع ان الرهبنة حصل عليها مقاومة من اناس
 معتبرين في الكنيسة قد امتدت وانتشرت في المسكونة . وكان
 ابتلاؤها في مصر في القرن الرابع الا ان التفشفات والاصوام
 والتوحد قد حُسبت من كثيرين فضيلة عظيمة قبل ذلك

العصر كما تقدم بيانه . فان في القرن الثالث رجلاً يقال له
بولس من ثيبايس بسبب الاضطهاد الذي كان في ايام
ديسوس الملك اضطره الحال ان يطوف في البراري لكي
ينجو من ابادي مضطديه . فالوحدة التي اوصل اليها الاضطرار
في اول الامر اخارها بعد ذلك لنفسه ومارس تنشقات
عظيمة^(١) وبعض مسيحيين غيره ايضاً هربوا الى البرية بسبب
هذا الاضطهاد ولكن لم يشتهر احد منهم بالوحدة نظير بولس .
ومن ثم بحسبه البعض كانه الشخص الاول الذي ظهر فيه روح
الرهينة ظهوراً كاملاً . غير ان انطونيوس الذي ظهر في اول
القرن الرابع يلقب غالباً ابا الرهبان بما انه هو الذي جمع اولاً
رهباناً تحت نظام واحد وذلك في مصر ورسم لم طريقة مخصوصة
من العيشة تحت قوانين^(٢) واذ حصل هذا الاتحاد بين جماعة
من المتوحدين اقام باخامبوس احد تلاميذ انطونيوس
واسس ديراً في تابنيس من اعمال مصر وذلك سنة ٣٤٠ وهذا
اول دير بُني بين المسيحيين . وكان لهذا الدير قوانين منتظمة
لاجل سياسة رهبانه وكان اعظم تلك القوانين الطاعة لرئيسهم^(٣)
ثم ان طريقة الرهينة امتدت من مصر الى فلسطين وسورية

(١) ابرونيوس في حياة بولس (٢) اعمال النديسين

لليوم السابع عشر من كانون ٢ مجلد ٢ وجه ١٠٧

(٣) ابرونيوس رسالة ١٨ الى اوستاكوس

بواسطة ايلاريون احد تلاميذ انطونيوس وذلك في القرن الرابع . وفي زمان يسبر كثرت الرهبان في تلك البلدان بمقدار ما كثرت في البلاد التي خرجت منها الرهبة^(١) واما ارمينيا واسيا الصغرى فكانا اوستانيوس الذي صار فيما بعد اسقف سبطيا اول من ادخل الرهبة اليها وذلك في القرن الرابع^(٢) ثم الكنائس الغربية كانت الرهبة في اول الامر محبقة فيها ولكن بواسطة مساعي واجتهادات اثناسيوس اولاً^(٣) وامبروسيوس وابرونيموس بعد ذلك حصلت على القبول عندهم ايضاً حتى انه في آخر القرن الرابع وجد اديرة كثيرة فيما بينهم . والاديرة التي بنيت اولاً في الغرب كانت على جزيرتين صغيرتين وهما جزيرة القديسة هونوري والقديسة مرغريتا وعلى جزائر هباري . وبنيت ايضاً بعض منها في اماكن مختلفة من ايطاليا . ومرتين اسقف نور في فرنسا اقام ديراً كبيراً بالغرب من تلك المدينة . وذلك نحو آخر القرن الرابع^(٤) وبوحنا كاسيانوس اقام ديرين في مرسليليا بعد هذا الوقت بمدة غير طويلة ولا حاجة الى تتبع تاريخ الرهبة الى آخرها غير اننا نقول انها من آخر القرن الرابع فصاعداً امتدت بسرعة عظيمة في

(١) ابرونيموس في حياة ايلاريون (٢) تاريخ كنسي لسفراط كتاب ٤ وجه ٢٢ و ٢٤ (٣) ابرونيموس رسالة ١٦ في ملامح مرسللا (٤) رسالة ٢ في حياة مرين لسليتيوس سوبرس

أكثر الجهات . لان نومهم عظمه فضيلة العيشة الرهبانية والظن بان رسم الديانة المسيحية الكاملة يوجد في العيشة الضيقة النشئة دعا كثيرين الى ترك العيشة العمومية والاعتزال الى الاديرة مع ان ذلك الروم باطل ومضاد للكتب المقدسة . والبعض قد بالغوا بهذا المقدار حتى كانوا يدعون العيشة الرهبانية رسولية^(١) مع انها كانت تضاد عادة الرسل مضادة مستقيمة . وكانوا يدعونها ايضاً ملائكية وسماوية . ثم ان عدد الرهبان في تلك الازمنة كان لا يكاد يُصدق . فان باخامبوس كان عنده في ديرهِ أكثر من الف وثلاث مئة راهب . وكان تحت نظارتِهِ أكثر من سبعة آلاف راهب^(٢) وفي دير واحد في ثيبايس قيل انه كان يوجد خمسة آلاف راهب^(٣) وفي نينريا وهي بلاد مقفرة في مصر كان يوجد خمسون ديراً^(٤)

والنتيجة ان عدد الرهبان كثر بهذا المقدار وحدث اضرار باهظة من جملة اوجه بسبب ترك جماهير غفيرة للعالم وانفرادهم في الصوامع والاديرة حتى التزم الملك فالنس ان يخرج اوامر خصوصية في منع هذه العادة^(٥) الا انه لم ينجح كثيراً في ذلك

- (١) ايمنانيوس اربعة ٦١ فصل ٤ (٢) تاريخ كسبي
لسوزومينوس كتاب ٣ وجه ١٤ (٣) كاسيانوس كتاب ١٤
وجه ١ (٤) سوزومينوس كتاب ٦ وجه ٢١ (٥) قوانين
ثاودوسيوس كتاب ١٢ فصل ١ وجه ٦٢

الباب الثامن عشر

في المسح بالزيت واستعمال المبرون في المعمودية وتكريس الاساقفة
والاكليروس ومسح المرضى بالزيت

اما من جهة اصل استعمال ذلك في المعمودية فقد ذهب
اكثر العلماء الى انه ناتج من لفظة مسحي . وقد برهنوا على ذلك
بأن لفظة مسيح او مسيحي بما انها مأخوذة من كلمة عبرانية معناها
مدهون استعملت للمسيحيين الاولون استعمال المسح ايضاً بعد
المعمودية . والبعض يظنون ان اصل ذلك ناتج من اسرار
المسيحيين السرية التي كانت دارجة بينهم في القرون القديمة .
وهذا الظن مبني على ما ذكره ترنوليانوس^(١) انهم في هذه الاسرار
كانوا يصنعون اشارة على الجبهة بالزيت نظير الاشارة المستعملة
في المعمودية

ولكن مهما كانت اسباب دخول هذه العادة ليس لما سند
في العهد الجديد . واما العبارة المذكورة في رسالة يوحنا الاولى
(ص ٢٠: ٢ و ٢٧) حيث تذكر المسحة فلا ريب انها مجازية ومعناها
مواهب ونعم الروح القدس المعطاة للمسيحيين . فلا نقدر ان

(١) ترنوليانوس ضد الارانقة راس ٤٠

نستنتج منها ان جميع المسيحيين يجب ان يُمسحوا بالزيت. ولو كان
هنا هو المقصود منها لوجب ان يكون جميع الذين عهدهم الرسل
قد مُسحوا ايضاً. ولكن لا يُذكر شيء من ذلك في العهد الجديد.
فان الماء يُذكر مراراً كثيرة وقد حدثت امور شتى تدل على
استعمال الماء في المعمودية ولكن ايس شيء يدل على استعمال
الزيت. فلو كان الرسل استعمالوا الزيت في المعمودية هل كان
يمكن ان لا يذكر ذلك اقل ما يكون مرة واحدة

لكن وان لم يكن لهذه العادة سند في الكتب المقدسة قد
ابتدئ استعمالها قديماً. فان ترنوليانوس الذي توفي سنة ٢٢٠
يشير اليها^(١) ولهذا يظن انها كانت موجودة في آخر القرن الثاني
او اول القرن الثالث. ولكن لا يوجد برهان على انها صارت
عمومية قبل القرن الرابع. الا ان وجودها في ذلك العصر
كعادة مقبولة من عامة الكنيسة يتضح من كبريلس^(٢) ومن
الكتاب المدعو القوانين الرسولية^(٣) ومن ابرونيوس^(٤)

ولكن لم يُنسب في اول الامر ان الزيت المستعمل في المعمودية
له منفعة خصوصية. بل كانت عادة بسيطة ظنوا انها تناسب
من كان معنى اسمه مسوحاً. فلم تنسب اليها الالباء شيئاً من القوة

(١) ترنوليانوس في المعمودية راس ٧ (٢) تعليم مسيحي

لكبريلس (٣) قوانين الرسل كتاب ٢ راس ١٧ وكتاب ٧

راس ٢٢ (٤) ابرونيوس في نبوة حزقيال ص ٩

الالهية حتى في اواسط القرن الثالث. وظن بعضهم ان المسيح كان
 رمزاً لصبرورة المعتمد ملكاً وكاهناً اي . ملكاً لملك على آلام وكاهناً
 لكي يقدم قراييت منبولة لله بواسطة الاعمال الصالحة . وبعضهم
 ايضاً شبهوا المعتمدين بالجهاديين في الملاعب اليونانية الذين
 كانوا دائماً يسحون اجسادهم بالزيت يريدون بهذا التشبيه انه
 يجب ان يصارعوا الخطية وان يجتهدوا لكي يحصلوا على القداسة
 الا انهم بعد ذلك لم يكتفوا بهذه التشاييه بل اخذوا
 يستعملون عبارات تشعيران الروح القدس كان يُعطى مع الزيت .
 حتى اننا نجد عباراتٍ مثل هذه في كبريانوس^(١) وامبروسيوس^(٢)
 واوغسطينوس^(٣) فاذا قد استعملت عبارات تشير الى ذلك كان
 امراً سهلاً ان يُصدق هذا الرأي . وما قوّى هذا التصديق صور
 بعض صلوات كانت تُستعمل في تكريس الزيت^(٤) ولكن في
 الابتداء لم يُنسب اليه مثل هذه القوة

واما استعمال الزيت المكرّس في الكنيسة اللاتينية في
 رسامة الاكليروس فقد اتفق جميع المؤرخين على انه لم يصير شائعاً
 عند التجميع الى القرن التاسع . والذين يحامون عن هذه العادة
 والذين يذهبون الى انها غير ضرورية يسمّون بذلك . واما

(١) كبريانوس رسالة ٧٠ الى يانواربوس (٢) امبروسيوس
 في الداخلين راس ٧ (٣) اوغسطينوس فصل ٦ في تفسير
 رسالة يوحنا (٤) بنكهام كتاب ١ وجه ٢٧١

الارمن فلم يكونوا قد مارسوا هذه العادة الى العصر المذكور كما يتضح ذلك من رسالة البابا بناديكتوس التي اشرنا اليها مراراً . فانه يصرح فيها عن الارمن انهم لا عند رسامة القسوس ولا الاساقفة تُسَمَّح ابيديهم او رؤوسهم بزيت . وكان ذلك سنة ١٢٤١ . فاذا تكون العادة قد دخلت فيما بين الارمن بعد ذلك العصر فلها عندهم نحو خمس مئة سنة

واما عادة الكنيسة اللاتينية في مسح المرضى بزيت مقدس في ساعة الموت فاصلها من القرن التاسع . ويدعون بانها مؤسسة على عبارة في رسالة يعقوب الرسول (١٤: ٥) حيث يقول " امريض احد بينكم فليدع شيوخ الكنيسة فبصلوا عليه وبدهنوه بزيت باسم الرب وصلاة الايمان تشفي المريض والرب بقيمه . ولكن هذه العبارة لا يمكن ان تكون اساساً للمسحة الاخيرة الدارجة لان هذه المسحة تعطى للمريض اذا تحقق موته خلافاً لمفهوم العبارة المشار اليها فان المسحة تُعطى للمريض لاجل شفاؤه . وفضلاً عن ذلك يوجد سببان آخران . احدهما ان الزيت كان مستعملاً بكثرة في تلك الايام نظير دواء . والثاني ان الشفاء لم يكن يُنال بالزيت بل بالصلاة بالايمان . ولا ريب ان المذكور في هذه العبارة من المسح بالزيت كان واحداً من هذه الثلاثة الامور . اي اما رمزاً للشفاء العجيب واما استعمال ادوية اعنياديه باسم الرب واما اشارة مجازية لمسحة روحية بالروح القدس الذي يعطي

الشفاء . ومن ثمَّ لا تؤخذ هذه الآية دليلاً لمسخ المريض بالزيت
عند الموت لأجل تطهيره من خطاياهُ
وفي الأصل كان العامة يستعملون الزيت لأنفسهم ولا صدقائهم .
الآن أنه أخيراً صار يجهلونه تحت سلطان الأكليروس وفي مجمع
بافيا المنعقد سنة ١٥٠٠ امروا أن يستعملوه للذين قد قاربوا
الموت والذين كانوا أيضاً أهلاً لشركة العشاء الرباني فأُحْصِيَ
مع بقية الأسرار

مكتبة المتحف الإسلامي في القاهرة

الباب التاسع عشر

في ملابس الاكبروس

لا يوجد دليل في العهد الجديد على ان الرسل كانوا يلبسون ثياباً تختلف عن ملابس بقية الشعب سواء كان ذلك في وقت مباشرة الخدمة الدينية ام غيره من الاوقات وكذلك الاكبروس لم يكونوا يلبسون ثياباً مخصوصة عند ممارسة واجبات وظيفتهم في الثلاثة القرون الاولى. وعلماء اللاتينيين والبروتسانت يسمون جميعاً بذلك . ومع ان اللاتينيين يعتقدون كثيراً بدلات كهنتهم ترى علماء هم الذين كتبوا عن عوائد الكنيسة كثوماسين^(١) وبلوسيا^(٢) وغيرها ينسبون اصل هذه البدلات الى القرن الرابع

ومن زمان قسطنطين الكبير الى عصر غريغوريوس الكبير اي القرن السادس كانت بدلات الاكبروس بالتدريج تزداد غنى وزخرفة. فكان لكل رتبة منهم حال خاصة بها تزداد

(١) ثوماسين في ترتيب الكنيسة قسم ١ كتاب ٣ راس ٤٥

(٢) بلوسيا في الترتيب الكنسي قسم ١ وجه ١٢٠

ثُمَّ وَرَوْنًا بِمَجْسَبِ عَلَوِّ رَتَبَةِ الْأَشْخَاصِ فَكَانَتْ حُلُلُ الْأَسَافَةِ
 فَاخِرَةً فِي الْغَايَةِ . وَهَذَا الْمِيلُ إِلَى الْإِفْتِخَارِ بِمَجْلَلِ الْأَكْلِيدُوسِ ظَهَرَ
 بِنَوْعٍ خُصُوصِيٍّ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ . وَمِنْ ذَلِكَ الْوَقْتِ إِلَى
 الْآنَ لَمْ تَزَلْ هَذِهِ الْعَادَةُ جَارِيَةً وَعَلَى الْخُصُوصِ فِي الْكُنَائِسِ
 الشَّرْقِيَّةِ وَالْكَنِيسَةِ الرُّومَانِيَّةِ الْبَابَاوِيَّةِ

مَكْتَبَةُ الْمُهَبِّدِينَ لِلْإِسْلَامِيَّةِ

الباب العشرون

في الاسرار السبعة

ان لفظة سر كانت تُستعمل عند القدماء كثيراً من دون حصر. على انهم كانوا يقصدون بها غالباً الدلالة على طقس او احتفال مقدس. فهكذا كان اوغسطينوس يدعو التقسيم على الشياطين سراً^(١) وكذلك الملح الذي كان يُعطى للموعوظين ايضاً^(٢) وهكذا مجمع قرطاجنة المنعقد سنة ٢٩٧ يسمي هذا الملح سراً^(٣) وكبريانوس يذكر الاسرار التي في الصلاة الربانية^(٤) وفضلاً عن ان القدماء لم يوضحوا جيداً ما هي الطقوس والاحتفالات التي يجب ان تسمى اسراراً كان ايضاً غير مفهوم ما هو المراد بالسر. فحصل اختلاف عظيم من هذا القبيل وبقي الحال هكذا من دون توضيح معنى هذه اللفظة الى عصر لمبرد في القرن الثاني عشر^(٥)

-
- (١) اوغسطينوس موعظة ٨٢ (٢) اوغسطينوس في استحقاقات الخطايا كتاب ٢ راس ٢٦ (٣) مجمع قرطاجنة فصل ٢ قانون ٥ (٤) كبريانوس عن الصلاة الربانية وجه ١٤٢ (٥) من جسر مجلد ٢ وجه ٢٢٩

ثم تحدّد السرّ من هوغو فكتور^(١) ومن بعض المعاصرين له بأنه علامة النعمة واسطة لمنحها

ومما كان المراد بلفظة السرّ عند الجمهور الى القرن السادس عشر. وحينئذٍ رفض هذا الرأي اولئك الذين يتخذون كلام الله دستوراً وحيداً لايمانهم واعمالهم وعلموا ان السرّ هو سنة مرسومة من المسيح بها يشار بعلامات ظاهرة الى الفوائد والنعمة التي اوجدها لنا المسيح وبها تُختَم تلك الفوائد للمؤمنين. وان مفعول الاسرار ليس قائماً بها او بالشخص الذي يخدمها ولكنه متوقف على بركة المسيح وعمل روحه في الذين يتناولونها بايمان. فذرى ان التعليم بان الاسرار تصدر النعمة بقوة قائمة بها او بالكاهن الذي يخدمها سواء كان للمتناول ايمان ام لم يكن له لم يقبل تعليماً كسبياً حتى القرن الثاني عشر. والجمع الذي حكم اولاً بان ملا هو مضمون السرّ كان مجمع فلورنسا سنة ١٤٢٩^(٢) ثم ثبت حكمه من المجمع التريدينتي في القرن السادس عشر^(٣)

واما عدد الاسرار فكان ايضاً غير محدود. فمن القرن الثامن الى القرن العاشر لم يكن الا اربعة فقط وهي الافخارستيا

(١) هوغو فكتور عن الاسرار كتاب ٢ قسم ١٥ راس ٢

(٢) انظر قوانين مجمع فلورنسا في الاسرار (٣) قوانين

مجمع ترنت عن الاسرار بوجه العموم قانون ١ الى ١٢

والمعمودية والتثبيت والرسامة^(١) والاقف او ثون من مبارج هو
 اول من علم بالسبعة الاسرار وذلك للبابيرانيين سنة ١١٢٤^(٢)
 ثم بطرس لمبرد وغرايثان اللذان ظهرا بعدد عينا العدد سبعة^(٣)
 ونوما اكونا عضد هذا الراي واوضحه باجلى بيان ولكن مع
 ان هؤلاء العلماء المشاهير كانوا يذهبون الى ذلك لم يكن عدد
 الاسرار تثبت بالتام . لان كثيرين اعترضوا على العدد المذكور
 ومن جملتهم اسكندرهاالس العالم الشهير الذي يقول^(٤) اذا
 كانت الاسرار سبعة لماذا لم ينشئ الرب يسوع الاسرار فقط
 اي المعمودية والافخارستيا حسب رسمت مشيخته . ثم يتقدم ببرهنا
 انه لا يوجد غير هذين السرين وان لا حاجة الى غيرها . واخيرا
 مجمع فلورنسا حكم بانه يجب ان يكون عدد الاسرار سبعة وهذا
 اول حكم من الكنيسة في هذا المعنى . ومجمع تريديننا الذي
 انعقد بعد ذلك بمئة سنة ثبت هذا الحكم . وبراهين ذلك توجد
 في الاماكن المشار اليها في الحاشية على الوجه السابق وهي تحت
 رقم (٢)

فارى ما ذكر ان التعليم الكنسي عن ماهية الاسرار

- (١) سجل مجلد ٢ وجه ٨ (٢) حياة القديس او ثون
 لكانيسوس مجلد ٢ جزء ٢ وجه ٦١ الى آخره (٣) بطرس
 لمبرد كتاب ٤ خطاب ١ الى ٤٢ (٤) اسكندرهاالس قسم ٤
 بحث ٨ قضية ٢ فصل ٢

وعدها المتمسك به الآن لم يثبت بالتام حتى القرن الخامس عشر
 ولا حاجة الى زيادة شرح في هذا البحث لاننا لا نقدر ان
 نتحقق نفس الوقت الذي فيه كل واحد من هذه الاسرار السبعة
 دُعي سرًا. غير ان المعمودية وعشية الرب قد حُسِب كلٌّ منها
 سرًا من البداية وذلك عند جميع طوائف المسيحيين وقد اتضح
 ان السبعة الاسرار لم تكن قد قُبِلت قبل القرن الثاني عشر.
 لانه الى ذلك الوقت لم يكن عدد الاسرار قد تحدد من احد
 المجامع او بسلطان ما كنسي. وقبل تعيين عدد السبعة بمجملته
 سنين كان قد اُضيف الى المعمودية وعشية الرب التثبيت والرسامة.
 واما المسحة الاخيرة والزيجة والتوبة فربما اُضيفت في القرن
 الثاني عشر. ولكن هذا الراي لم يكن مقبولا عند الجميع لان حكم
 الجميع بكونها اسرارًا لم يكن قبل القرن الخامس عشر

مكتبة المصنفين في الاستاذة المقدسة

الخاتمة

في نتائج ما تقدم

اننا نختم هذه الرسالة ببعض افكار نتج ما سبق بيانه
اولاً ان الديانة المسيحية في الثلاثة القرون الاولى كانت
بسيطة وخالصة جداً . فان طفوسها واحفالاتها كانت قليلة
وبسيطة وكانوا يجنبون فيها الزخرفة والعظمة . حتى انه لم يكن
لهم ابنية مخصوصة للعبادة الى القرن الثالث^(١) بل كانوا يلتزمون
ان يمارسوا العبادة في البيوت والكهوف والمغابر . وكانت
عبادتهم من شأنها ان تؤثر في القلب بواسطة الخشوع والبساطة
الموجودة فيها لا ان تدهش العقل بكثرة الطفوس والاحفالات
والزخارف التي تترك القلب غير مؤثر فيه . فان الوثنيين الذين
كانوا معتادين على الطفوس الكثيرة في عبادتهم الوثنية حسبوا
عبادة المسيحيين عارية وخالية من كل زخرفة وكانوا يعترضون
عليها من هذا القبيل . ونعاليمهم ايضاً كانت غالباً ما يوجد له
برهان وسند في كلام الله ولم يكن يُدعى ان آراءهم او اعمالهم
ضاد وصايا الانجيل التي كانت تُتلى عليهم في اجتماعاتهم . فانهم

(١) تاريخ كنسي لاروسايبوس كتاب ٨ راس ٢ و ١٢

اتخذوا لم مرشداً كلام الله لاوصايا الناس واستحسنانهم ولم يبطلوا
أوامر الله بتقليدات بشرية

ثانياً مع ان الديانة المسيحية كانت في اول الامر بسيطة جداً
قد حصل في القرن الرابع تغير عظيم. فانه بعد ارتفاع قسطنطين
الكبير الى تخت السلطنة زادت زيادات عظيمة على العوائد
والطفوس الموجدرة قبلاً. من جعلها اطالة العبادة في الكنيسة
واستمالها باحتفالات وزخارف خصوصية. وليس خافياً على قارئ
هذه الرسالة ان اكثر هذه العوائد قد ابتداء من زمان قسطنطين
وبعد

وجميع مؤرخي الكنيسة يشهدون بتكثير الطفوس بفترة
وبنوع مفرط في القرن الرابع. وكثير منها قد نُقل عن عبادة
الوثان نفسها. فان شلاغل العالم الكاثوليكي المشهور يقول^(١)
لاشك ان قسطنطين ارتكب غلطات كانت في نتائجها مضرّة
للديانة المسيحية. لانه اعطى الاكليروس الانعامات القديمة التي
لكهنة الوثنيين. وكان يفرح عند ما يرى الاساقفة في درجة
عالية من الزخرفة والعظمة. اذ كان يظن انه بمقدار ما يكون
الاساقفة من الاعتبار يزيد ميل الوثنيين الى قبول الديانة
المسيحية. وهكذا ادخل محبة العظمة والافتخار بين الاكليروس.
وادخال عوائد الوثنيين هذه في الكنيسة بسلم بعض علماء آخرون

(١) انظر مسهم مجلد ١ وجه ٢٦٢

من الكاثوليكين مثل يينستا منوانوس^(١) وبارونبوس^(٢) وغيرها
ثم يقول جيسار^(٣) فلما قهرت الكنيسة اعلاءها الآن (اي
في القرن الرابع) وصارت غنية وقوية ظهر مفعول ذلك في ازدياد
مجد طفوسها . وكذلك كثيرون من المحدثين في الايمان ما زالوا
ماثلين الى العظمة والزخرفة في امور الديانة . ثم يتشكى قائلاً ان
كثيرين قد خضعوا لهذا الميل الوثني وذلك اكي يرجعوا الوثنيين
باوفر سهولة

واوغسطينوس الاب المشهور الذي عاش في اواخر القرن
الرابع واول ائل القرن الخامس يقول^(٤) ان النير الذي وضع
قديماً على اليهود كان اخف من النير الموضوع على كثيرين من
المسيحيين في عصره

ومسيهم المورخ الكنسي يقول^(٥) ان الاساقفة اظهروا نور
الديانة الحقيقية واضعوا قوتها بواسطة تكثير عدد الطقوس
والعوائد التي اظهر بها في القديم اليونانيون والرومانيون تقواهم
واحترامهم نحو آلهتهم الكاذبة ظانين ان الشعب يقبلون الديانة
المسيحية باوفر سهولة اذا رأوا الطقوس التي تساهوا من آباؤهم لم

- (١) انظر كتابه في اعياد شباط وتشرين ٢ (٢) اخبار
بارونبوس ٥٨ فصل ٧٦ واخبار ٢٠٠ فصل ٥ (٣) جيسار
راس ٥ فصل ٩٦ (٤) اوغسطينوس رسالة ١١٨ الى ينواريوس
(٥) تاريخ كنسي لمسيهم كتاب ٢ راس ٤ فصل ١

تزل موجودة في الديانة المسيحية من دون تغيير . انتهى . وقد
 نُقِلَتْ اشياء كثيرة الى الديانة المسيحية . حتى ان المؤرخ المذكور
 يقول انه يوجد فرق قليل بين عبادة المسيحيين وعبادة الوثنيين
 لان عند الاثنتين بدلات فاخرة ونيجانا وجواهر كريمة ومنابر
 وعكاكيز واحتفالات وتطبيرات واشياء أخر . مثل هذه لا تخصي
 ويمكن ذكر شهادات أخرى كثيرة من المؤرخين الصادقين
 في اثبات هذا الموضوع . ولكن لا حاجة الى ذلك لان القضية ثابتة
 واضحة لا يمكن انكارها

ثالثاً ينبغي ما تقدم بيانه ان هذه العوائد والتعاليم المخترعة
 والمدخلة الى الكنيسة بعد المسيح ورسوله بسنين كثيرة هي غير
 ضرورية للديانة المسيحية . واذا سلمنا انها ضرورية كما زعم البعض
 فيلزم من ذلك ان المسيح والرسل تركوا الديانة التي لاجل
 تأسيسها اتوا الى هذا العالم وماتوا غير كاملة . فيكونون لم يعملوا
 الا نصف عملهم فقط . وبما انهم لم يأتوا من انفسهم بل انما أرسلوا
 من الله فكيف تكون النتيجة ان الله لم يتم عمله هذا بل تركه ناقصاً
 جداً . فمن يجاسر ان يقول انه يوجد شيء من اعماله تعالى غير
 كامل . وكلامه يقول صريحاً ان افعاله كاملة ^(١) . فتأمل باي
 عمل شئت من اعمال الطبيعة فتراه كاملاً فانظر الى نبات
 بسيط او زهرة صغيرة ولاحظ ان جميع اجزائها كاملة وكل ما

يتعلق بها في غاية الكمال . ومع كل هذا الكمال محكوم على تلك الزهرة ان تتلاشى بعد ايام قليلة . فاذا كانت اعمال الطبيعة التي لا بد من زوالها بالسرعة لا يوجد فيها شيء من النفس فهل يُظَنُّ ان الرب وتلاميذه تركوا الديانة المسيحية نافضة . هل يصدق ان هذه الديانة التي بواسطتها يجب ان تخلص النفس من الهلاك الابدي وتستعدّ لدخول السماء قد خرجت من ايدي مؤسسيها الاطهار غير كاملة . وهل يتصور ان الناس الجاهل في ذواتهم الغير الكاملين العبي بالخطيئة يمكنهم ان يحسنوا هذه الديانة ويكملوها

رابعا اذا كانت هذه العوائد التي ذكرناها اجزاء جوهرية للديانة المسيحية فاذا اصاب اولئك المسيحيين الاولين الذين مانوا في الثلاثة القرون الاولى قبلما دخلت هذه الاشياء في الكنيسة . ألم يخلصوا أولم يكونوا مقبولين لدى الله . فانهم لم يكن عندهم صور القديسين . ولم يارسوا الاعتراف للمكاهن . ولم يؤمنوا بالاستحالة . ولم يخاطبوا القديسين في صلواتهم كانتهم شفعا . ولم تكن عندهم اصوام معينة كما هي العادة الان . ولا كانت عندهم ذخائر القديسين لكي يكرموها ويعبدوها . ولا كان شيء من كل هذه الامور موجودا فيما بينهم

ولكن مع انهم كانوا عادمين هذه الاشياء كانوا حاصلين على درجة سامية من التقوى . فذلك الابام هي التي مات فيها

جماهير غفيرة من الشهداء لاجل محبتهم المسيح ولما كونه. ولم يوجد قط زمان منذ ابتداء الديانة المسيحية كانت فيه النفوس طاهرة وخالصة كما كانت حينئذ. كان زمان الانجيل الذهبي

واذا كان مثل هذه الدرجة السامية من النفوس موجودة حينئذ بدون هذه العوائد فانه يمكن ان يكون ذلك الآن. وكما انها لم تكن في تلك الازمان ضرورة المقدسة والمخلص لا تكون ضرورة الآن ايضا. وبما انه قد غلب دخولها انخطاط محزن في طهارة التعليم وقداسة السيرة ينضج جليا انه فضلا عن كونها غير ضرورة هي مضرّة جدا. ودخولها كان سببا قويا لانخطاط شأن الديانة المسيحية كما يتفق في ذلك جميع مؤرخي الكنيسة الانتباه

خامسا انه يستتج من هذا الموضوع نتائج آخر كثيرة مهمة. فاننا نرى ان اناسا من آباء الكنيسة مثل غريغوريوس المنور ويوستينوس الشهيد وابريناوس وترتوليانوس واوريغانوس واوغسطينوس واثاناسيوس وغريغوريوس التريثي وغريغوريوس النيسى ويوحنا في الذهب وباسيليوس الكبير وآخرين كثيرين من المعتبرين جدا عند الجميع لم يكن ممكنا لهم قط ان يعبدوا عبدا لاکرام مريم العذراء لانه لم يكن معروفا مثل هذه الاعياد في ايامهم (راجع وجه ٢١-٤٧) ولا ان يدعوها شفيعا لانها لم تكن تُعبد بنوع خصوصي في عصرهم

(راجع وجه ٥٥ الى ٥٩) ولا امكن ان يستعملوا الايقونات او
يحاموا عن استعمالها لانها دخلت بعد زمانهم بمدة مديدة (راجع
وجه ٦٠ الى ٦٨) ولا كانوا يؤمنون هم ولا كثيرون من الآباء
بعدهم مثل كيرلس وثاودوريتوس وغيرهما بتعليم الاستحالة ولا
بالاعتراف للذاهن. لانه كان قد مضى عليهم مدة طويلة وهم في
قبورهم قبل ان ظهرت هذه التعاليم وصارت عمومية. ولا علم
احد من هؤلاء بضرورة الاصوام المعينة لان هذه قد حُكِمَ بها
بعد موته بمدة طويلة (راجع وجه ٧٤ و ٨٢) نعم ربما انهم صاموا
مراراً كثيرة بمعنى انهم امتنعوا عن جميع انواع الاطعمة وكرسوا
الوقت لعبادة مخصوصة. وهذا هو الصوم الحقيقى لا مجرد تغيير
في الطعام

وكذلك الآباء المذكورون وكثيرون غيرهم من عاش
بعدهم لم يبدوا الخبز قط لان هذه العبادة كانت غير معروفة
مدة قرون عديدة (راجع وجه ١٠٢)

واناس مثل اغناطيوس ويوسنينوس الشهيد وابريناوس
وترتوليانوس ولوريجيانوس وكيريانوس وغريغوريوس
وثوماتورغوس وآخرين كثيرين لا يمكن ان يكونوا قد نطفوا
باللغات مع الحرم لان عادة الفاء اللغات على المحرومين ظهرت
بعد زمانهم

ولا حاجة الى زيادة النتائج على ما تقدم. وبما اننا نريد ان

نضمّ جدولاً الى هذه الرسالة يدل على الزمان الذي ظهرت فيه هذه العوائد فيستطيع القارئ ان يقايس هذه الامور ويطول بها كما يشاء

سادساً ولفائيل يقول اذا كانت الاخبار المتقدمة صادقة تكون الديانة المسيحية عارية من كل شيء وتترك كجسد عريان شنيع. فنجيب ان حوادث الانجيل وتاريخ الكنيسة هي على هذه الصورة ولا يمكن تغييرها. ومقصودنا انما هو ان نذكر الحوادث كما حدثت في القرون الاولى للديانة المسيحية. ونحن لم نَعْرِ الديانة من ادنى شيء كان مختصاً بها في ايام المسيح ورساله وفي القرون التابعة لها. لكننا انما اخبرنا عما كما كانت في اول ظهورها غير مزيد عليها شيء من اختراعات البشر. وكانت حينئذ اكثر تأثيراً وتقدبساً في الذين تمسكوا بها. واذ كانت بساطتها حينئذ مجداً لها فترجيحها الى حالتها الاولى يجعل لها مجداً نظيرها. فان الديانة القلبية لا تنمو زاهرة في وسط طفوس واحتفالات لان الانسان مائل جداً الى ممارسة تلك الطفوس واحياناً كثيرة بعد ذلك التفتوى الخالصة. اي انه يميل الى الاكتفاء بالخدمة الخارجية من دون اهتمام بالنداسة الداخلية. ولكن الخدمة والطفوس التي لا تصدر منها قداسة القلب فمهما كانت منبولة عند الناس ليست منبوبة عند الله ولا لها منفعة البتة. فانه تعالى يطلب ان الساجدين له يسجدون بالروح

والحق^(١) وبكره الخدمة التي نقوم بمجرد طقوس واحتفالات
خارجية^(٢)

والذين يتشكون منا لاجل بساطة عبادتنا فهم انما
يلومون الانجيل نفسه والعناية الالهية وعوائد القرون القديمة.
فانهم يتنازعون مع صاحب الحق لامعنا . لانه تعالى قد وضع
الحق كما شاء . واما نحن فغابتنا الوحيدة انما هي ان نُقبل الديانة
المسيحية ونُمارس على حقها كما تركها مؤسسوها المسيح ورسله .
فان الواسطة العظي لخلاص الناس ليست هي حفظ الطقوس
والسنن الخارجية بل هي خاتق الانجيل السامية اذا بُشِّر بها
بوضوح وامانة وغيره ومواظبة حسب بساطتها الاصلية
فترافقها قوة روح الله القدوس . وهذه هي صلاة المسيح لاجل
تلاميذه قدسهم في حفاك كلامك هو حق^(٣) ولم يقل قدسهم
بالطقوس والسنن . وبطرس الرسول يقول ان المسيحيين
مولودون لا من زرع يفتي بل مما لا يفتي بكلمة الله الحية الباقية
الى الابد^(٤) ولم يقل انهم مولودون من كثرة طقوس واحتفالات
خارجية . فانا نريد ان نحول افكار الناس عن الطقوس
البشرية الى هذه الحقائق المجيدة المقدسة المنفذة كما هي موجودة في

(١) يو ٤: ٢٤ (٢) راجع اش ١١: ١٥ (٣) يو ١٧:

١٧ (٤) ابط ١: ٢٣

الكتب المقدسة . فلنكن ايها القارئ العزيز هذه الحقائق
 هديتك ودرسك كل يوم لاننا منصفون
 انك بهذه الوساطة فقط
 تقدر ان تنال الحياة
 الابدية

٢



جدولّ يتضمن ذكر العوائد والطقوس المذكورة في هذا الكتاب
مع تعيين الوقت الذي دخلت فيه

وجه

- ١٣ عيد القيامة والعنصرة في القرن الأول
١٨ جمعة الآلام في القرن الرابع
١٩ عيد الميلاد في القرن الرابع
٢٥ تذكّار الشهداء في القرن الرابع
٢٩ عيد الرسل في القرن السادس
٢٢ عيد بطرس وبولس في القرن الخامس
٢٧ عيد يوحنا المعمدان في القرن السادس
٢٧ عيد يوحنا الانجيلي بعد ذلك بقليل
٢٨ عيد تطهير مريم في القرن السادس
٤١ عيد بشارة مريم العذراء في القرن السادس او السابع
٤١ عيد زيارة مريم لاليصابات في سنة ١٤٤١
٤٥ عيد انتقال مريم الى السماء في القرن الثالث عشر
عيد ميلاد مريم في الشرق في آخر القرن السابع وفي
٤٥ الغرب في القرن الحادي عشر
٤٧ عيد الحبل بـمريم بلا دنس في القرن الخامس عشر
٥٤ الصوم الاربعيني في القرن السادس

٥٥	عبادة القديسين في القرن الرابع والخامس
٥٩	عبادة الملائكة في سنة ٢٩٧
٦٠	عبادة الابقونات في سنة ٧٨٦
٦٩	رسم اشارة الصليب في سنة ٢٢٠
٧٣	الاعتراف وفرض قانونه في سنة ١٢١٥
٨٢	الاستحالة في القرن التاسع
١٠٢	رفع الثريان في القرن الرابع والخامس
١٠٤	عبادته في القرن الثالث عشر
١٠٩	المطهر في القرن السادس
١١٢	القداسات لاجل الموتى في القرن الثالث عشر
١١٦	الصلاة لاجل الموتى في القرن الثالث والرابع
١١٩	زيارة الاماكن المقدسة في القرن الرابع والخامس
١٢٢	توقير الذخائر وعبادتها في القرن الرابع
١٢٨	ابقاد النخور في القرن الرابع والخامس
١٣٠	استعمال المصابيح في القرن الرابع
١٣١	ابقاد الشموع في القرن الرابع
١٣٥	الماء المقدس في القرن التاسع
١٣٩	الحرمات والانائيات في القرن الخامس
١٤٨	عدم زواج الاكبروس في سنة ٢٨٥
١٥٦	الرهينة في القرن الرابع

- ١٦١ المسح بالزيت في آخر القرن الثاني
١٦٢ الميرون في القرن الثالث
١٦٣ زيت تكريس الاساقفة في القرن التاسع
١٦٣ مسح المرضى في القرن التاسع
١٦٥ ملابس الاكليروس في القرن السادس
١٦٧ الاسرار السبعة في القرن الثاني عشر

